

حكمة الصلاة

مجموعة الإفادات عن الصلاة

للإمام عبد الحميد الفراهي (ت ١٣٤٩هـ)
صاحب تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان



جمع وترتيب وتعليق
الدكتور محمد أكرم الندوي
(أوكسفورد - المملكة المتحدة)



دار عمار

حكمة الصلاة

مجموعة الإفادات عن الصلاة

الطَّبْعَة الأولى

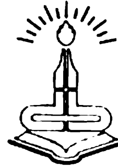
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٢١/٦/٢٤٧٤)

٢٧١,٢
الفراهي، عبدالحميد بن الكريم بن قربان قنبر الإنصاري(ت١٣٤٩هـ)
حكمة الصلاة: مجموعات الافادات عن الصلاة/ عبدالحميد بن عبدالكريم بن قربان قنبر الإنصاري الفراهي: تحقيق محمد أكرم الندوي. عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٢١
(١٤٤) صفحة.
الواصفات: / أحكام الصلاة// العبادات// الفقه الإسلامي

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية او اي جهة حكومية اخرى

ردمك ISBN 978-9957-692-96-4



دار عمار للنشر والتوزيع
عمّان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري
تلفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ - ص.ب ٩٢١٦٩١ عمّان ١١١٩٢ الأردن
dar_ammar@hotmail.com

حكمة الصلاة

مجموعة الإفادات عن الصلاة

للإمام عبد الحميد الفراهي (ت ٩٤٣١هـ)

صاحب تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان

جمع وترتيب وتعليق:

الدكتور محمد أكرم الندوي

(أوكسفورد – المملكة المتحدة)



دار عمار

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب السماوات والأرضين، منزل الكتاب المبين هدى للعالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد خاتم النبيين ومعلم الدين القويم، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تعود بي ذاكرتي إلى صغري وأنا طالب في الثانوية في مدرسة «مولانا آزاد تعليمي مركز» الواقعة على مسافة ثلاثة أميال من قريتي أو أكثر، إذ طرق بها أذني اسم غامض، اسم لم أسمع به في بيتي أو في محيطي، ولا في مدرسة ضياء العلوم بماني كلان، التي تعلمت فيها اللغة الفارسية وشيئاً من العربية، اسم لم أجد إلى تفسيره ورفع الغموض عنه سبيلاً، ألا وهو اسم مولانا حميد الدين الفراهي، وصادف أنه قريب العهد منا، لا من المتقدمين الذين امتلأت المقررات الدراسية بكتبهم، وأنه قريب الدار مني، ولعل هذا الثاني كان موقعه في نفسي أشد غرابة ودهشة.

وصحبت في هذه المدرسة الجديدة بعض الإصلاحيين (المتخرجين من مدرسة الإصلاح التي طورها الإمام حميد الدين الفراهي) وتلمذت على بعضهم، وهم: العلامة الكبير نجم الدين الإصلاحي، والشيخ المفسر داود أكبر الإصلاحي، والعلامة الجليل إظهار الإصلاحي، والمفسر المدقق مشتاق أحمد الإصلاحي، والأديب العبقري شميم أحمد الإصلاحي، رحمهم الله تعالى، والعلامة النحوي المربي عبد القدوس الإصلاحي حفظه الله ومد في عمره، متشاركين في ثلاث خصال: عنايتهم بكتاب الله جل جلاله، وولعهم بالبحث والتحقيق، وزهدهم في المطعم والملبس والمسكن، أوتوا منها حظا كبيراً، ولعلهم ورثوها عن إمامهم المتنسِّك الذي اعتزوا بالانتماء إليه.

جالستهم منجذباً إليهم وهاوياً إياهم، ولم تمض الأيام إلا وزالت عني غرابة ذلك الاسم، وحل محلها أنس، وتسرب إلى نفسي حب للفراهي متغلغلاً في أحشائي ومختلطاً بلحمي ودمي، وشاء القدر أن ألتحق بدار العلوم لندوة العلماء سنة ١٣٩٨هـ، فاتفقت لي بها صحبة شيخنا العلامة الأجل المفسر الفذ شهباز الإصلاحي رحمه الله تعالى، والتي أحدثت ثورة في عقلي وفكري، فتغيرت نظراتي إلى العلوم والفنون،

وآثرت البحث والتحقيق على المحاكاة والتقليد.

قرأت كل ما تيسر لي من كتب الفراهي منذ سمعت باسمه، وأنا مديم النظر فيها وعاكف عليها، لقد أنشأت فيَّ صلة وثيقة بالقرآن الكريم، واعتماداً له في الهدى والعلم، ووقفت نفسي على تدبره تعميقاً لجذور الإيمان في داخلي، وتثبيتاً للإسلام وشعبه في قلبي، وربطت ذلك بيان النبي ﷺ به متعاضدين، فاكتشفت حقيقة الدين، وميزت بين أصوله وفروعه، ووضعت المذاهب الفقهية موضعها من غير إفراط ولا تفريط تجنباً البدع الكلامية والفلسفية والطرقية.

ولعل من وجوه إعجابي بالإمام الفراهي ما دَبجه يراع العلامة السيد سليمان الندوي إثر وفاته: «الصلاة على ترجمان القرآن» نداء ارتفع قبل ستة قرون تقريباً من بلاد مصر والشام إلى حدود الصين، للصلاة على الإمام ابن تيمية رحمه الله، وحق لذلك الصوت أن يعلو مرة أخرى من ربوع الهند على الأقل إلى بلاد مصر والشام، إذ نعي إلينا ابن تيمية هذا العصر في التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٤٩هـ الموافق ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٠م، ولعل العالم الإسلامي يحتفي بمثله فضلاً ونبوغاً لأنه الإمام الجليل الذي كان نادرة من نوادر الدهر، ومستوعباً لعلوم الشرق والغرب، رجل واحد مستجمع لأنواع المعارف، مضطلع من العلوم الدينية، وناقد للعلوم العقلية، بَذَّ أقرانه في الدراسات العربية، وفاق غيره في التبحر في القرآن وتدبر معانيه وسبر أغواره، واستخراج حكمه ودرره، كنيف ملىء علماً، وا أسفاه! لم ينقل من علمه إلى الصحف إلا النزر اليسير»(١).

ويتلوه ما كتبه شيخنا الإمام أبو الحسن علي الندوي رحمه الله في تقديمه لكتاب (إمعان في أقسام القرآن): «فجاء هذا الكتاب – على صغر حجمه – يجمع بين إزاحة بعض الحجب التي طرأت على هذا الصنف من الإعجاز القرآني، وبين مادة ثرية من الأصول الأدبية، ونُكتٍ مستمدة من فن البلاغة وأساليب البيان العربي، ولا يتأتى ذلك إلا لمن جمع بين التدبر في القرآن والاشتغال به، وبين التذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية، والتشبع من دراسة بعض اللغات الأجنبية

---

(١) ياد رفتكان ص ١١٠.

والصحف السماوية القديمة، وبين سلامة الفكر ورجاحة العقل والتعمق، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[٢]

إن هذا الرجل لم يظهر مثله في علماء الإسلام – في شبه القارة الهندية– بعد الشاه ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ) في فقه الدين، وفهم كتابه، ونفوذ النظر فيه، ودقة الاستنباط منه، مع جرأة عقلية عديمة المثال، وخلع لربقة الهوى والتقليد، ومع قدرة عجيبة على اللسان وامتلاكٍ لناصعة البيان، ومع صلاح وتقوى، وزهد وقناعة، وصبر وحلم، وسائر الفضائل، والمحاسن.

أَلِفْتُ طريقته في التفسير، وزال كل ما يغشى بصري، وعايشت القرآن الكريم تدبراً ثم تقريراً له على الطلاب وفق منهجه، عازماً على أن أصنف تفسيراً موجزاً باللغات العربية والإنكليزية والأردية سالكاً مسلكه ومقتفياً أثره، وأن أخدم تراثه وأنشر علومه، وقد سبقت لي مقالات عن بعض جوانبه، وهذا هو أول عمل لي عنه في صورة كتاب جامع لإفاداته التي كلها دُرَرٌ وغرر عن الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد التوحيد.

انتقيته مما بثَّه في كتبه ورسائله عن الموضوع محيلاً كل ذلك على مواضعه، ورتبته ترتيباً يجعله قريب المنال، ووضعت له العناوين، وخرجت أحاديثه، وأحكمته بالآيات القرآنية، والبيانات النبوية، وعبارات الأئمة المحققين، فاستوى كتاباً لطيف الحجم غزير العطاء، وسميته (حكمة الصلاة)، مُقسِّماً إياه:

إلى مدخل في ترجمة الفراهي.

ومدخل آخر في وصف الكتاب.

وعشرة أبواب: معنى الصلاة وفضلها.

وتاريخ الصلاة، والصلة بين الصلاة وغيرها من أمور الدين.

وشروط الصلاة، وصفة الصلاة،

والجماعة والجمعة، وقيام الليل.

---

(٢) إمعان في أقسام القرآن ص ١٣.

وقصر الصلاة، وإقامة الصلاة، وآثار الصلاة.

وعزمت على إبرازه للخلق ونشره، ورأيت فيه الخير راجيا أن يفعل في نفوس غيري ما فعل في نفسي، فهو يرد إلى الناس أسراراً من معاني الصلاة قد تفلتت منهم وامتنعت عليهم.

تختلف إلى العلماء، وتتردد إلى الشيوخ فلا تكاد تظفر من بينهم بمن فتحت له تلك المعاني أو وجدت إليه سبيلا، وذلك أن عامتهم مغرمون بالسهل الميسور من العلم، ومفتونون باللذيذ الممتع من الفن، والطرق الممهدة مغرية، والسبل المسلوكة مرغبة، فاستغنوا بها عن النظر والتحقيق وكل ما يكلفهم مشقة وعناء، ومن أملي في تقديم هذا المجموع أن يبعث في الناشئة الهمة، وينهض العزيمة.

وأغتنم هذه الفرصة للإعراب عن تقديري وشكري لفضيلة الدكتور أحمد حسن فرحات على مراجعته لمسودة الكتاب وإسدائه بعض التوجيهات النافعة المعينة على تحسينه، فجزاه الله تعالى خيراً.

وأدعو ربي أن يصلح نفسي، ويصحح قصدي، ويتقبل هذا العمل بقبول حسن، وهو على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وكتبه

محمد أكرم الندوي، أوكسفورد

٢٤ شعبان ١٤٤٢هـ

المدخل الأول

ترجمته[٣]

هو الإمام الأجل، والمحقق الأوحد، رأس المفسرين وعمدة المؤولين، قدوة المتزهدين وأسوة المتعبدين، العلامة عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، أبو أحمد، الأنصاري الأعظمكراهي، المعروف بمولانا حميد الدين الفراهي.

مولده ونشأته:

ولد صباح يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة سنة ١٢٨٠هـ في قرية «فَرِيها» من قرى مديرية أعظمكراه، شمالي الهند، والفراهي نسبة إلى تلك القرية.

ونشأ بها في أسرة كريمة معروفة بنسبها وسِطتها ومكانتها الاجتماعية، وكانت نشأته في رخاء ورفاهية، وعلم وأدب.

طلبه:

قرأ على الشيخ أحمد علي القرآن الكريم، وحفظه عن ظهر الغيب وهو ابن عشر سنين، وأخذ الفارسية عن الشيخ محمد مهدي، وبرع فيها، حتى صار من شعرائها المرموقين.

وعني بدراسة اللغة العربية وهو ابن أربع عشرة سنة، وتلمذ على ابن عمته العلامة شبلي النعماني (ت ١٣٣٢هـ) في مدينة أعظمكراه، وقصد معه مدينة لكنؤ، وأخذ بها عن المحدث الشهير والفقيه الجليل العلامة عبد الحي الأنصاري اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ) والشيخ فضل الله بن نعمة الله الأنصاري (ت ١٣١٢هـ)، ثم رحل إلى العلامة الأديب فيض الحسن السهارنفوري (ت ١٣٠٤هـ) شارح ديوان الحماسة والمدرس في الكلية الشرقية بلاهور، وتلمذ عليه في العربية وتمكن منها وبرع

---

(٣) اعتمدت في ترجمته (نزهة الخواطر) للعلامة الشريف عبد الحي الحسني المتوفى سنة ١٣٤١هـ، ومقدمة (إمعان القرآن) بقلم العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله، ومقدمة (مفردات القرآن) بقلم الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، وإفادات شيخنا شهباز الإصلاحي، ومصادر أخرى.

فيها.

ولما أكمل دراسة العلوم المتداولة من المنقول والمعقول واللغة والأدب، أقبل سنة ١٣٠٠هـ، وهو ابن عشرين سنة، على اكتساب العلوم العصرية، والتحق بكلية عليكراه، وأخذ بها الفلسفة الحديثة واللغة الإنجليزية، وصحب علماء أوربا واستفاد منهم مميزاً بين الصالح والفاسد، وبين النافع والضار.

اشتغاله:

عين سنة ١٣١٤هـ مدرساً للعربية والفارسية بمدرسة الإسلام في مدينة كراتشي، ودرس فيها أكثر من تسع سنوات، ثم عين سنة ١٣٢٤ هـ أستاذاً مساعداً للعربية في كلية عليكراه، وأخذ بها عن المستشرق اليهودي الألماني جوزف هوروفيتس اللغة العبرانية، وعين سنة ١٣٢٦هـ أستاذاً للعربية بجامعة إله آباد، وقضى بها نحو ست سنوات، واختير عضواً في اللجنة العربية للعلوم الشرقية.

واختارته حكومة حيدر آباد الدكن عميداً لكليتها الشرقية المسماة دار العلوم، فغادر إليها سنة ١٣٣٢هـ، وتولى مسؤوليتها الإدارية، ودرس في سنواتها العليا، وكانت له بها حلقة أسبوعية لتفسير القرآن الكريم يحضرها العلماء والباحثون وطلبة القرآن والتفسير، ويعرضون عليه أسئلتهم فيجيب عنها، وهو أحد المؤسسين للجامعة العثمانية بحيدر آباد، ومكث بها إلى سنة ١٣٣٧هـ.

ثم استقال من منصبه وعاد إلى وطنه، وقد أشار إلى ذلك في ترجمته الذاتية قائلاً: «ولما كانت هذه المشاغل تمنعني عن التجرد لمطالعة القرآن المجيد، ولا يعجبني غيره من الكتب التي مللت النظر في أباطيلها، غير متون الحديث وما يعين على فهم القرآن، تركت الخدمة، ورجعت إلى وطني، وأنا بين خمسين وستين من عمري. فيا أسفاً على عمر ضيعته في أشغال ضَرّها أكبر من نفعها! ونسأل الله الخاتمة على الإيمان»(٤)

ولما توفي العلامة شبلي النعماني سنة ١٣٣٢هـ واجتمع تلامذته لتنفيذ خطته لإنشاء مجمع دار المصنفين في مدينة أعظم كراه، اختاروا الفراهي رئيساً لها والعلامة

---

(٤) مجلة الضياء ٢/ ٧ ص ٦٠.

السيد سليمان الندوي مديراً.

إدارته لمدرسة الإصلاح:

وتولى إدارة مدرسة إصلاح المسلمين التي أنشأتها جمعية إصلاح المسلمين في بلدة سراي مير، ورسم لها منهاجاً دراسياً فريداً يختلف عن مناهج المدارس الدينية الأخرى في نظامها، ومقرراتها الدراسية، وطريقة التدريس فيها، ووقف جزءاً كبيراً من وقته وجهده على خدمتها، يقيم بها ثلاثة أيام من كل أسبوع، ويلقي دروساً في تفسير القرآن الكريم على أساتذتها وطلابها الكبار.

تلامذته:

وممن حضر مجالسه واستفاد من دروسه ومحاضراته في تفسير القرآن الكريم وغيره: العلامة السيد سليمان الندوي (ت ١٣٧٣هـ)، والأستاذ عبد الماجد الدريابادي (ت ١٣٩٧ هـ)، ومولانا أبو الكلام آزاد (ت ١٣٧٧ هـ)، والشيخ مناظر أحسن الكيلاني (ت ١٣٧٥ هـ) وآخرون.

واختص به صاحباه الشيخ أختر أحسن الإصلاحي (١٣٢٠-١٣٧٨)، والشيخ أمين أحسن الإصلاحي (ت ١٤١٨ هـ)، وشيخنا شهباز الإصلاحي رحمه الله من أَخصِّ أصحاب الشيخ أختر أحسن الإصلاحي، ولم أر من يقاربه في تدبر كتاب الله العزيز وتفقه الحديث النبوي الشريف والتدقيق في سائر العلوم.

مصنفاته:

أقتصر هنا على تسمية كتبه المتعلقة بالقرآن الكريم وتفسيره وعلومه بالعربية: (إحكام الأصول بأحكام الرسول ﷺ)، و(أساليب القرآن)، و(أسباب النزول)، و(إمعان في أقسام القرآن)، و(أوصاف القرآن)، و(تعليقات في التفسير) في مجلدين، و(التكميل في أصول التأويل)، و(جمهرة البلاغة)، و(حجج القرآن)، و(حكمة القرآن)، و(دلائل النظام(، و(الرائع في أصول الشرائع)، و(الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح)، و(الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ)، و(فاتحة نظام القرآن) مقدمة تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان)، و(في ملكوت الله)، و(القائد إلى

عيون العقائد)، و(مفردات القرآن)، و(نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) وهو تفسيره الذي صدرت منه أجزاء.

قال العلامة السيد سليمان الندوي بعد سرد أسماء ما اطَّلعَ عليه من كتبه: «من يقرأ أسماء هذه الكتب، يقضي منها العجب، ويؤمن بما أوتي صاحبها من سعة العلم، وصحة النظر، وكثرة الفضل، وسلامة الذوق، وتوقد الذهن، والتأمل في القرآن، وفهم أصوله ومعانيه، وتناول أقاصيه وأدانيه.»(٥)

وفاته:

كان رحمه الله منقطعاً إلى هذا البر من العمل حتى أتاه الأجل في ١٩ جمادى الآخرة عام ١٣٤٩هـ في مدينة «مثورا» كعبة الوثنيين في الهند، كان رحل إليها عليلاً، يستشير طبيباً نطاسياً من أبناء بلدته موظفاً فيها، فلم ينجعه الدواء، ولم يرزق الشفاء، وأنهكته العلة التي سدكت(*) به، وخابت العملية التي قام بها الطبيب، وهو محتسب صبراً، ومطمئن شكراً، يجود بنفسه وهو يتلو القرآن، ويشكر الرحمن، حتى أسكت الحمام ناظم الكلام إلى يوم القيام، و﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾، صدق قول القائل: عاش حميداً، ومات شهيداً.»(٦)

رثاؤه:

وقد رثاه عدد من أصحابه وأصدقائه بقصائد عربية وفارسية وأردية، منها قصيدة الشيخ اللغوي الأديب عبد الرحمن الكاشغري (ت ١٩٧١م)، جاء فيها:

ويعطر الأيام من أنـفـاسـه ... عرف الهدى والعلم والعرفان

قد كان كعبة سؤدد وبفضله ... للـمـكـرمـات مشيد الأركان

ويد السماح وهامة الهمم العلى ... ولسان صدق فيصلاً كيمان

ومحجة الحسنى وحجة أهلها ... ويمين دين الحق والإيمان(٧)

---

(٥) إمعان في أقسام القرآن ص ٢٢.

* اي لَزِمته

(٦) إمعان في أقسام القرآن ص ١٨-١٩.

(٧) مفردات القرآن ص ٣٩ نقلا من مجلة الضياء (لكنؤ) المجلد الأول، العدد السابع: ٢٩-٣٠.

نبوغه في العلوم:

تمكن من اللغة الفارسية حتى عُدَّ من كبار شعرائها، ونبغ في اللغة العربية وآدابها فسلَّم العلماء له فيها بالكمال وخضعوا له، وغاص في العلوم الإسلامية وتبحر فيها تبحراً لا نظير له، وعكف على تدبر كتاب الله تعالى فجاء بها حير العقول وأدهش الألباب.

قال صاحب نزهة الخواطر: «وهو من كبار العلماء، له خبرة تامة بالعلوم الأدبية، وقدرة كاملة في الإنشاء والترسل، وتودد إلى معارفه، وأصحابه ... راسخ في العلوم العربية والبلاغة، متعمق فيها، متضلع من أشعار الجاهليين، وأساليب بيانهم، واسع الاطلاع على الصحف السابقة، حسن النظر في كتب اليهود والنصارى، عاكفٌ على التدبر في القرآن، والغوص في معانيه وأساليبه»(٨)

ويقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي: «قد بَذَّ العلامة الفراهي في الآداب الفارسية والعربية أقرانه بل شيخه شبلي النعماني أيضاً.»(٩)

وزاره الدكتور تقي الدين الهلالي رحمه الله فكتب عنه في مذكراته: «وللشيخ المذكور ديوان شعر، سمعته منه، بليغ مؤثر في استنهاض همم المسلمين وبَثِّ الحياة في قلوبهم، وذكر عداء الإفرنج لهم، وذكر حرب طرابلس والحرب الكبرى، والرجل فصيح في التكلم لغاية.»(١٠)

وقال العلامة السيد سليمان الندوي إثر وفاته: «الصلاة على ترجمان القرآن» نداء ارتفع قبل ستة قرون تقريباً من بلاد مصر والشام إلى حدود الصين، للصلاة على الإمام ابن تيمية رحمه الله، وحق لذلك الصوت أن يعلو مرة أخرى من ربوع الهند على الأقل إلى بلاد مصر والشام، إذ نعي إلينا ابن تيمية هذا العصر في التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٤٩هـ الموافق ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٠م. ولعل العالم الإسلامي لن ينجب مثله فضلاً ونبوغاً، ذلك الإمام الجليل الذي كان نادرة من نوادر الدهر،

---

(٨) نزهة الخواطر ٨/ ٢٤٩.
(٩) مفردات القرآن ص ٢٣.
(١٠) مفردات القرآن ص ٢٦.

ومستوعباً لعلوم الشرق والغرب، رجل واحد مستجمع لأنواع المعارف، مضطلع من العلوم الدينية، وناقد للعلوم العقلية، بذ أقرانه في الصناعات العربية، وفاق الخلق في التبحر في القرآن وتدبر معانيه وسبر أغواره، واستخراج حكمه ودرره، كنيف ملىء علماً، وا أسفاه! لم ينقل من علمه إلى الصحف إلا النزر اليسير»(١١).

فضائله وثناء الناس عليه:

أثنى عليه شيخه العلامة شبلي النعماني، والعلامة السيد سليمان الندوي، والعلامة أبو الكلام أزاد، والأستاذ عبد الماجد الدريابادي، وشيخنا الإمام أبو الحسن علي الندوي، رحمهم الله تعالى، ثناء بالغاً عطراً، معترفين باستفادتهم من آرائه، وانتفاعهم بعلومه.

ووصفه صاحب نزهة الخواطر بـ«جودة فهم، ووفور ذكاء»(١٢).

ويقول العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله: «كان رحمه الله آية من آيات الله في حدة الذهن، وكثرة الفضل، وسعة العلم، ودماثة الخلق، وسداد الرأي.»(١٣)، ويقول: «وكان يبذل أوقات فراغه في التأليف، والتدوين، والنظر في القرآن ومعانيه، وإلقاء دروسه على تلامذته الملتفين حوله، فسمح خاطره المتدفق بما بخل به القدماء من علومه، وفرق على العُفاة ما لم يجمعه الأوائل في صحفهم.»(١٤)

وممن أشاد به من الأعلام العرب العلامة رشيد رضا رحمه الله، كتب عنه في مجلته وقد وصلت إليه مؤلفات للفراهي: «وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية، دون المباحث الفنية العربية ... وإن للمؤلف لفهماً ثاقباً في القرآن، وإن له فيه مذاهب في البيان .. وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها

---

(١١) ياد رفتكان ص ١١٠.

(١٢) نزهة الخواطر ٨/ ٢٤٩.

(١٣) إمعان في أقسام القرآن ص ١٥.

(١٤) إمعان في أقسام القرآن ص ١٨.

والصدور عنـها رَيَّان من شواهدها».[15]

وقال مولانا أبو الكلام آزاد رحمه الله: «كان حميد الدين الفراهي رحمه الله من العلماء الربانيين الذين لا تكون بضاعتهم العلم فحسب، بل يجمعون بين العلم والعمل. ويندر وجود أمثال هؤلاء الحائزين للشرفين، كما لا يخفى على أهل النظر. وإني كلما قابلته تأثرت بعمله أكثر من علمه، فإنه كان رجلاً تقياً بكل معنى الكلمة.»[16]

وزاره العلامة تقي الدين الهلالي قبل وفاته بسبع سنين، فكتب عنه: «والرجل فصيح في التكلم لغاية، نادر في علماء العرب فضلاً عن علماء الهند ... سمعت منه خطبة تفسيره للقرآن، اغرورقت منها عيناي لفصاحتها وحقيتها. وهو عارف بمسألة الخلافة مُحَقِّقٌ لها، لا يلتبس عليه شيء من أمرها خلافاً لأهل الهند، مجتهد في العقائد والعمليات، لا ينتمي لمذهب لكنه يتعبد على مذهب الحنفية لأنه نشأ عليه ويعتقد أن الأمر في مثل ذلك سهل. ماهر في الإنجليزية والعربية والفارسية والأردية. وبالجملة فهو أعلم من لقيته قبل هذا الحين، وهو ١٧ رمضان ١٣٤٢ هـ".[17]

وقال شيخنا الإمام أبو الحسن علي الندوي رحمه الله في تقديمه لكتاب (إمعان في أقسام القرآن): «وقد جمع هذا الكتاب بين التدبر الطويل العميق في دراسة القرآن، والتشبع بروحه، والاطلاع الواسع على أساليب البيان والبلاغة، والتعبير عن مكنونات الضمير في لغات مختلفة، والاطلاع على تعبيرات الصحف السماوية، والأساليب الدينية البيانية، مع دراسة مقارنة للديانات، واطلاع واسع وتذوق للكلام العربي والشعر الجاهلي.»[18]

وقال الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات: «... الإمام الفراهي رحمه الله، الذي استطاع أن يغوص بحر العربية ويستخرج لؤلؤها ومرجانها، وأن يتذوق بيانها وآدابها وأن يتعمق في درك أسرار شعرها ونثرها، بل إنه ذهب أبعد من ذلك بكثير، فلقد

(١٥) مجلة المنار، عدد صفر ١٣٢٧.
(١٦) مفردات القرآن ص ٤٠ نقلا من مجلة الإصلاح، المجلد الأول، العدد الثامن: ٥٦-٦١.
(١٧) مجلة الضياء، المجلد الثاني، العدد السابع، ص ٢٦٠.
(١٨) إمعان في أقسام القرآن ص ١٢-١٣.

استطاع أن يستدرك على أئمة اللغة ونقادها بما حباه الله من عقل نافذ وتأمل عميق وصبر طويل على البحث ودأب متواصل على المطالعة والدرس وساعده على ذلك كله إحاطته بثقافة الشرق والغرب ومعرفته بعدد من اللغات السامية والأوربية مما أتاح لـه أن يأخذ العلوم من مصادرها وأن ينهل المعرفة من ينابيعها بلا واسطة تعكر صفوها. فكان أقدر من غيره على التحقيق، واستطاع أن يصل إلى ما لم يصل إليه غيره، فجزاه الله خيراً عن المسلمين».[١٩]

---

(١٩) مجلة الهند- العدد الخاص- عن الإمام الفراهي مقال بعنوان الإمام عبد الحميد الفراهي كما يراه العلماء الهنود والفضلاّء العرب - د. عرفات ظفر الأعظمي.

عنايته بكتاب الله تعالى

قضى عمره في تدبر كتاب الله واستكشاف معانيه، واستجلاء دقائقه، وفاق أقرانه في بيان نظام القرآن وربط آياته وسوره، يقول في مقدمة نظام القرآن: «إني قد تصفحت كتب التفسير وسبرتها سبراً، فما وجدتها إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، فلم تبرد غلتي، بل زادت قلبي حراً، وملأت كبدي جمراً».

«ففزعت إلى تدبر كتاب الله وسعة معانيه وتركت أقاويل الناس هجراً، وكانت بداية أمري أني بينما كنت أجيل الطرف في نجوم الآيات إذ أضاء لي في أفقها الأعلى سلك نظامها مثل الخيط الأبيض من الصبح فما ازداد إلا سطوعاً وجهراً، فكشف الحجاب عن فؤادي أو طحرَ قذىً عن عيني طحراً، فأبصرتُ قصدي وتبينت رشدي وصرت أعمل في أساليب نظامها وأعاجيب رباطها فكراً».

«وقضيت على ذلك عصراً، ومن أحسن عمري شطراً، حتى ولى الشباب ظهراً، وأذاقني المشيب طعماً مراً، وكرت علي الأسقام والأوجاع كراً، ولامني الصديق ونظر الحقود إلي شزراً، بأني ركبت وعراً، وتوليت أمراً إمراً، ولكني لم أزل مشتغلاً بخُصَيْصايَ لا أقصر عنها قصراً، كأن أمراً من السماء يسوقني إليها قسراً».

ورأى أن الهدى لا يتم إلا بتدبر كتاب الله تعالى، وانتهاج طريق العلم والعمل، وأهم ما يعين على التدبر معرفة النظام، يقول: «المقصود من معرفة النظام ليس إلا التدبر، فإنه الإقليد له، ثم التدبر في الكتاب هو الوسيلة إلى الهدى والتقوى، فهما أصلان، فإن النفس بالهدى يستبصر، وبالتقوى يَتزكَّى، والإيمان مع شعبه العلمية يدخل في الهدى، والشرائع والأخلاق والأحوال تدخل في التقوى»[٢٠]

نظام القرآن:

والنظام أبدع ما توصل إليه الفراهي في فهمه للكتاب العزيز، ومعناه ارتباط معاني السورة بموضوع مركزي (العمود) فيها مع معالم متوافقة وأجزاء منسجمة وتفاصيل مترابطة، وهو أول من تطرق إليه وأشبعه إشباعاً، يقول في كتابه دلائل

---

(٢٠) دلائل النظام ص ٢١.

النظام: "قد صنف بعض العلماء في تناسب الآيات والسور، أما الكلام في نظام القرآن فلم أطلع عليه، والفرق بينهما أن التناسب إنما هو جزء من النظام."[21]

ويقول: "إن المراد بالنظام أن تكون السورة كلاماً واحداً، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بُعْدٍ منها، فكما أن الآيات ربما تكون معترضة، فكذلك ربما تكون السورة معترضة، وعلى هذا الأصل نرى القرآن كله كلاماً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه، من الأول إلى الآخر؛ فتبين مما تقدم أن النظام شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء."[22]

ويقول: "إن التناسب جزء من النظام، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلاً بنفسه، وطالبُ التناسب ربما يقنع بمناسبة ما، فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام، فيصير شيئاً واحداً. وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها... فإن عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيراً. ومنها ما ترى فيه اقتضاباً بيناً، وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متصلة بالتي على بعد منها.»[23]

العلم والعمل:

إن الأساس الذي يبتني عليه علم الإنسان وينطلق منه عمله: فطرته، وحواسه، وعقله، وإرادته، ولعل أفضل من تكلم عن أهمية الفطرة هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وكلامه طويل جداً ومقنع، قرأته مراراً وترجمت كثيراً منه إلى اللغة الإنكليزية، ألتقط هنا منه لقطة، يقول: «كل مولود يولد على الفطرة ليس المراد به أنه حين ولدته أمه أن يكون عارفاً بالله موحداً له بحيث يعقل ذلك، فإن الله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾، ونحن نعلم بالاضطرار أن الطفل ليس عنده معرفة بهذا الأمر، ولكن ولادته على الفطرة تقتضي أن الفطرة تقتضي ذلك،

---

(٢١) دلائل النظام ص ٨٦.
(٢٢) دلائل النظام ص ٨٧.
(٢٣) دلائل النظام ص ٨٦.

وتستوجبه بحسبها. فكلما حصل فيه قوة العلم والإرادة، حصل من معرفتها بربها، ومحبتها له، ما يناسب ذلك كما أنه ولد على أنه يحب جلب المنافع ودفع المضار بحسبه، وحينئذ فحصول موجب الفطرة، سواء توقف على سبب، وذلك السبب موجود من خارج، أو لم يتوقف، على التقديرين يحصل المقصود. ولكن قد يتفق لبعضها فوات الشرط أو وجود مانع، فلا يحصل مقصود الفطرة.»(٢٤)

ويتلوه الإمام الفراهي في الكشف عن دور الفطرة، يقول: «قد وجدنا النفس في فطرتها مدركة ذائقة، وهكذا نرى الحواس، فإنها ليس لها محض الإخبار، بل لها لذة وألم، فالنفس بإدراكها تحكم بالوجود، وكون الشيء شيئاً، وبذوقها تحكم بكون الشيء مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه، وهذا الطرف هو أصل جميع أفعالها وأعمالها.»(٢٥)

ويقول: «اعلم أن القرآن صرح كثيراً بأن دين الله هو الفطرة، والإنسان مسؤول حسبما أودع فطرته، فيناديه من جانب فطرته ويخاطبه من مركز وجوده، فإن الفطرة أصل علومه وإرادته، فلا علم حتى البديهيات إلا وهي أصله وأمه، فبها يوقن ويحكم، وهي حاكمة عليه.»(٢٦)

ويقول وهو يتحدث عن الحواس: «وهي مصادر علوم الإنسان، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾.

قال الفراهي: الإنسان مفطور للرقي إلى أعلى المنازل، وهو قربة الرب تعالى، وذلك بما ركب فيه السمع والبصر، وجعل الفؤاد حاكما فيه ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة النحل ٧٨)، أي حين أخرجكم لا تعلمون شيئاً، ولكن جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لتكسبوا بها علماً ومعرفة، وغاية ذلك أن تشكروا.»(٢٧)

ويقول وهو يتحدث عن معنى الإرادة والعمل: «وإذا كان الفكر والنظر من

---

(٢٤) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٦٠-٤٦١.
(٢٥) حجج القرآن ٧٦.
(٢٦) حجج القرآن ٧٩.
(٢٧) حجج القرآن ٧٤.

عمل النفس، ولا عمل إلا بإرادة، ولا إرادة إلا برغبة، ولا رغبة إلا بذوق، فمع أن العلم غير الذوق، ولا تترقى النفس في العلوم والمعارف أيضاً إلا من جانب الذوق والإرادة والفعل.»[٢٨]

ويقول: «العمل يعقب الإرادة، ولكن إنشاء الإرادة قد لا يكون سهلاً، لأن الهوى والعقل يتنازعان، والهوى والوحي يتنازعان، فمن رحمة الله بعباده أن هداهم إلى الإيمان والتقوى، وذلك مما يساعده على إرادة الخير.»

---

(٢٨) حجج القرآن ٦٧.

المدخل الثاني

وصف الكتاب

وردت آيات كثيرة تنص على شأن الصلاة وقدرها، منها:

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[29].

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[30].

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[31].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾[32].

وأشادت بفضلها أحاديث، ونَوَّهَتْ بمكانها، منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كَفَّارة لما بينهن، ما لم تُغْشَ الكبائر.»[33]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا.»[34]

وعن عثمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرئ مسلم تَحْضُره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من

---

(٢٩) سورة البقرة، الآية ٤٥.

(٣٠) سورة البقرة، الآية ١١٠.

(٣١) سورة الأعراف، الآية ١٧٠.

(٣٢) سورة فاطر، الآية ٢٩.

(٣٣) أخرجه مسلم في الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة.

(٣٤) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، ومسلم في المساجد، باب المشي إلى الصلاة.

الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله.»(٣٥)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه، بضعا وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يَخْطُ خطوةً إلا رفع له بها درجة، وحَطَّ عنه بها خطيئة، حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تُبْ عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه.»(٣٦)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم، فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون.»(٣٧)

وقصص السلف في التعلق بالصلاة والحفاظ عليها كثيرة مستفيضة تبعث على العجب، منها ما جاء في ترجمة الإمام علي بن الحسين رضي الله عنهما: «كان إذا قام إلى الصلاة أخذته رِعدة، فقيل له: ما لك؟ فقال: ما تَدرون بين يَدَي مَنْ أقومُ ومن أناجي؟(٣٨)

وورد عن التابعي الجليل عامر بن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، أنه سمع المؤذن وهو يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدي، فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعي الله، فلا أجيبه؟! فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في المغرب، فركع ركعة، ثم مات.(٣٩)

---

(٣٥) أخرجه مسلم في الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه.

(٣٦) أخرجه البخاري في الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، ومسلم، في المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.

(٣٧) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ومسلم في المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر.

(٣٨) تاريخ دمشق ٤١/ ٣٧٨.

(٣٩) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٠.

وقال التابعي الجليل يونس بن عبيد رحمه الله تعالى: «خصلتان إذا صلحتا من العبد، صلح ما سواهما: صلاتُه ولسانه.»[٤٠]

الإمام الفراهي والصلاة:

وممن عُرفَ شَغفهُ الزائد بإقامة الصلاة والتعظيم الكبير لقدرها وعُلُوِّ مكانها في الدين هو الإمام حميد الدين الفراهي، وكان شيخنا العلامة شهباز الإصلاحي رحمه الله كثير الحديث عن صلاته وحسن أدائه لها في قنوت وخشوع، وذلك من أكبر ما أوقع محبته في قلبي.

ومن أجل استشعاره أمر الصلاة الرفيع، قال: «كِدُت أقول الصلاة هي الدين، وإذا لم أبعد، ولكن ليفهموني أقول: إن الصلاة أول الشرائع بعد التوحيد أي الإيمان، فرأس الأعمال الصلاة، وهي متصلة وجامعة للإيمان، فالله أكبر توحيد وشهادة به، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ سورة الإسراء ١١١.

وقال تعالى لموسى: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ سورة طه ١٣-١٤ [٤١].

ويقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي رحمه الله في مقاله عنه: «كان آية في التعبد والتدين، لم أر مثله في المحافظة على الصلاة إلا أن يكون أكبر إله آبادي الشاعر، ما كان مولانا (الفراهي) نفسه نشيطاً في الصلاة، بل كان يؤثر في غيره فيصير بصحبته محافظاً على الصلاة، وكلما نزل في دار المصنفين غلبها الاهتمام بالصلاة».[٤٢]

وهو مثال لقوله تعالى في إسماعيل عليه لسلام: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ سورة مريم ٥٥.

كتب إلى ابنه سجاد (ت ١٤٠١هـ) وهو صغير:

---

(٤٠) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٩٣.

(٤١) الرائع في أصول الشرائع ص ٤٨.

(٤٢) معاصرين ص ١٢٢.

«إني في حنين إلى رؤيتك حنينَك إلى رؤيتي بل أشد، وهذا هو شأن الرب تعالى، إذا اشتاق العبد إلى لقاء مولاه كان أسرع إليه شوقاً، يتقرب الله تعالى إلى عبده في الصلاة وهو غائب عنه، ولو انكشف له لمات العبد من جلال نوره، فلا يظهر له، ولكنه يقرب منه نَجِيّاً، ومن قَنَتَ في صلاته أَحسَّ بهذا القرب وأدرك هذه المناجاة، فينبغي لك منذ الآن أن تطهر بدنك وثيابك وتواظب على الصلاة، وسل مؤدبك أن يعلِّمك الصلاة، وأن يذكِّرك بها دائماً ويعظك، وإني أزداد سروراً إذا بلغني أنك محافظ على الصلاة، أدعو الله تعالى أن يرغبك في الحسنات، ويملأ قلبك حباً للصلاة، فالصلاة تنشأ منها الخصال الحميدة كلها».[٤٣]

آثار الصلاة عليه:

ومن الصلاة تتولد المكارم والأخلاق والسجايا الجميلة، يقول الإمام الفراهي: «كيف تتفرع الخصال الحسنة من الصلاة والكرم، بل الكرم نفسه يتفرع من الصلاة، إذا كملت فهي الأصل، وهي أول مظهر للإيمان.»[٤٤]

يقول شيخنا أبو الحسن علي الندوي: «وللصلاة تأثير في صرف النفس عن الأخلاق الرذيلة، والفحشاء والمنكر، والتمتع بالمتعة الرخيصة، ليس لشيء آخر بعد كلمة التوحيد، ولذلك يقول الله تعالى:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾، وذلك لأنها تصرف صاحبها من جهة إلى جهة، ومن ذوق إلى ذوق، ومن طلب إلى طلب، ومن تفكير إلى تفكير، ومن سفاسف الأمور إلى معاليها، وتُحبِّبُ إليه الإيمان، وتزينه في قلبه، وتُكرِّهُ إليه الكفر والفسوق والعصيان، هذا إذا كانت الصلاة حقيقية تتدفق بالحياة، وتفيض بالحرارة والقوة.»[٤٥]

وفعلت الصلاة في الفراهي الأعاجيب، فارتسخت فيه أصول الفضائل

---

(٤٣) مكاتيب فراهي ص ٦١.
(٤٤) حكمة القرآن ص ٣٦.
(٤٥) الأركان الأربعة ص ٤٩.

وثبتت فيه جذور المحاسن، زهِد في الدنيا، ورغِب في الآخرة، وصفه صاحب نزهة الخواطر رحمه الله بـ»شهامة نفس، وانجماع لا سيما عن بني الدنيا، وعدم اشتغال بما لا يعنيه«(٤٦).

وكان العلامة شبلي النعماني رحمه الله يقول: «من جلس إلى عبد الحميد انصرف قلبه عن الدنيا».(٤٧)

ويقول العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله: «كان رحمه الله آية من آيات الله في ... الزهد في الدنيا والرغبة في طلب مرضاة الله.»(٤٨)

ويقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي رحمه الله: «قلما رأت العيون مثله في الصبر والحلم والقناعة والتوكل والشرف»(٤٩)

وقال في موضع آخر: «كانت شخصية الفراهي قوية جذابة، قلما رأينا مؤمناً قانتاً مثله، قيل في وصف أولياء الله إن الجلوس معهم يُذَكِّرُ الإنسان بالله سبحانه، وكان يصدق هذا الوصف على الفراهي صدقاً تاماً.... أقام في حيدر آباد سنوات عميداً لدار العلوم، يتقاضى مرتباً عالياً، وكانت صلته بطبيعة الحال بعلية القوم، لكن لم يتغير شيء مما كان عليه من القناعة والاقتصاد في المطعم والملبس والديانة والصدق والإخلاص، أما مجالسه فلا مجال فيها للغيبة ولغو القول والهزل، وبالجملة فلم يكن له نظير لا في العلم والفضل ولا في الديانة والتقوى»(٥٠)

سبب تأليفي لهذا الكتاب:

وخلال السنين الماضية ألقيت دروساً ومحاضرات كثيرة عن الصلاة أمام طلابي وغيرهم، فقرأت لعامة من كتب عن الصلاة، ورأيت أن الفراهي أكثرهم توفيقاً

---

(٤٦) نزهة الخواطر ٨/ ٢٤٩.
(٤٧) مقدمة مفردات القرآن ص ٢١ نقلا من حيات حميد ص ٥٥.
(٤٨) إمعان في أقسام القرآن ص ١٥.
(٤٩) معاصرين ص ١٢٣.
(٥٠) مفردات القرآن ص ٢١-٢٢ نقلا من مقال الدريابادي في صحيفة (صدق) عدد ١٩/٦/١٩٤٥.

إلى التوصل إلى أسرار الصلاة وحكمها، وأبلغهم تعبيراً عن حكمها ومقاصدها، فسألتهم لو أن أحداً منهم نهض وجمع إفاداته لكان من أحسن الكتب عن الصلاة.

ولقيت الشيخ الصالح عبد السميع الأنيس قبل ثلاث سنوات في الرباط عاصمة المغرب بمناسبة الدروس الحسنية، وحدثته عن تحقيقات الفراهي عن الصلاة، ورغبتي في جمعها، فحضَّني على عملها وإنجازها.

ثم شغلتني شواغل وتأخر الأمر، حتى تجددت فيَّ قبل أشهر الرغبة السابقة، فاستجبت لها، وثبت الله عزيمتي، وحققت أمنيتي بحول الله وقوته، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

والصلاة موضوع ذو شأن عال وخطورة سامية، كثرت التآليف حولها، فمنهم من ضمها إلى غيرها من العبادات، ومنهم من أفردها بالتأليف.

ومن المصنفات المفردة:

- كتاب الصلاة، للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (ت ١٨٢هـ)،
- كتاب الصلاة، للإمام إسماعيل بن إبراهيم المعروف بابن علية (ت ١٩٣هـ)،
- كتاب الصلاة، لأبي سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني (ت ٢٠٠هـ)،
- كتاب الصلاة، للحافظ أبي نعيم الفضل بن دكين (ت ٢١٩هـ)،
- كتاب الصلاة، للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)،
- تعظيم قدر الصلاة، للإمام محمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤هـ)،
- كتاب صفة الصلاة، للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)،
- كتاب الصلاة والتهجد، للحافظ عبد الحق الإشبيلي (ت ٥٨١هـ)،
- أخبار الصلاة، للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٠٠هـ)،
- كتاب مقاصد الصلاة، للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)،
- كتاب الصلاة، للإمام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، رحمهم الله تعالى.

ومن عني بالصلاة في عصرنا شيخنا الإمام أبو الحسن علي الندوي في كتابه:

- (الأركان الأربعة)، وهو عمل جليل نفع به الله المسلمين في كافة أنحاء العالم.

وإليكم الآن هذا المجموع من إفادات الفراهي عن الصلاة عسى أن ينفعني الله بها وإياكم، اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، وتوفيقاً منك لإقامة الصلاة والمحافظة عليها، ورضى منك، وجواراً لك في جنات النعيم، آمين يا رب العالمين.

الباب الأول

معنى الصلاة وقدرها

معنى الصلاة:

الصلاة هي في الأصل الإقبال على شيء، ومنه الركوع، ومنه التعظيم، والتضرع، والدعاء، وهي كلمة قديمة بمعنى الصلاة والعبادة، جاءت في الكلدانية بمعنى الدعاء والتضرع، وفي العبرانية بمعنى الصلاة والركوع.

ومن هذا الأصل صَلِيَ النار أقبل عليها، ثم بمعنى دخل النار، كما قال تعالى ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ﴾ سورة اللهب ٣، وأيضاً ﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ سورة الانشقاق ١٢، ومنه التصلية كما قال تعالى ﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ سورة الواقعة ٩٤، واستعملت العرب كل ذلك[٥١].

أرى أن الصلاة في أصل معناها القربة القريبة، والإقبال على الشيء والدخول فيه. فيقال للفرس المتصل بالسابق: «المصلي»، وللجالس حول النار بقربها: «الصالي»، وكذلك لمن دخل في حَرِّها[٥٢].

أصل معنى الصلاة: الإقبال والتوجه، وباطنها الإنابة، كما قال: ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ويؤيده آيات أخر.

و«التسبيح» هو الخشوع والسجود. وصلواتنا جامعة لكليهما. وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ ناظر إلى مفهوم التسبيح والصلاة.

وعلى هذا فجريان كل شيء حسب مشيئة الله تعالى دليلٌ على ملكه وتسبيح كل شيء له. وأوضاع كل شيء بحسب طباعه صُوَرٌ لخشوعه الظاهر وصلاته.

كما قال تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ أي: يجريان حسب تقديره ومشيئته.

---

(٥١) مفردات القرآن، وتفسير نظام القرآن (سورة البقرة) ص ٥٦.

(٥٢) تفسير نظام القرآن (سورة الكوثر) ص ١٠٥.

﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ فكل ذلك في تسبيح وصلاة.[٥٣]

أصل الصلاة رُكونُ العبدِ إلى ربه محبة وخشية.[٥٤]

فضل الصلاة:

هَممتُ أن أقول إن الصلاة هي الدين، ولكن لتفهم قولي أقول: إن الصلاة أول الشرائع ومظهر التوحيد والشهادة به، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ سورة الإسراء ١١١.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ سورة المدثر ١-٧.

وقال تعالى في أول خطابه لموسى عليه السلام: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة طه ١٣-١٤[٥٥].

جهات الصلاة من أصول الشرائع أيضاً هي:

١- إقرار بالتوحيد.

٢- وذِكْرٌ لعهدنا بعبوديته الخالصة. والذكر هو الذي يجعل المعتَقَد به راسخاً في النفس حتى تتكيف به. أصل الخلقة تَعَبُّدٌ للخالق. فترك العبادة تناقضٌ في الوجود. ولذلك كل خَلْقٍ يعبدُ الرب. والصلاة مخ العبادة، فلزمَ جميع الخلق لزوم التوحيد والتعبد. وقد يعبر عن الصلاة بالتسبيح. كل خَلْقٍ له صلاة، كما قال تعالى: ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾.

---

(٥٣) تعليقات على سورة النور ٤١ - ٤٦ (ص ٢٧٩ - ٢٨٠).

(٥٤) قال في فاتحة نظام القرآن: «ثم للصلاة مناسبة بالزكاة من جهة التقابل، وتكميل الواحد بالآخر، وانشعابهما من أصل واحد، فأصل الصلاة ركون العبد إلى ربه محبة وخشية، وأصل الزكاة ركون العبد إلى العبد محبة وشفقة، فلا يكمل الصلاح إلا بهما، فالمحبة أصلهما، فعلمنا أن أصل الدين هو المحبة ورقة الباطن ولطافة الشعور.» (تفسير نظام القرآن ص ٤٤).

(٥٥) الرائع في أصول الشرائع ص ٣٦-٣٧.

وقال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾.

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴾.

٣- الصلاة عهدنا بالله، قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾، وقال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾.

٤- وعبادته هو الدعاء الخالص له، كما قال تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾. وقال: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾.

٥- الصلاة شُكرٌ لربنا، وهو الرب الواحد. فالشرك في الدعاء كفر، كما أن ترك الصلاة(٥٦) والإعراض عن ذكره كفر، قال تعالى:

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾. فبناء الصلاة الصبر، وكذلك بناء الشكر الصبر.

٦- ويجب علينا هذا الشكر خاصة، لأنه تعالى أمر الملائكة بالسجدة لآدم، فوجب عليه أن يسجد لربه.

---

(٥٦) أخرج مسلم في الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة. قال الشاه ولي الله الدهلوي: «الصلاة من أعظم شعائر الإسلام وعلامته التي إذا فقدت ينبغي أن يحكم بفقده لقوة الملابسة بينها وبينه، وأيضاً الصلاة هي المحققة لمعنى إسلام الوجه لله، ومن لم يكن له حظ منها فإنه لم يبؤ من الإسلام إلا بما لا يعبأ به. (حجة الله البالغة)

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾. فتركُ الصلاة منا صار أشد كفراً من عصيان إبليس بثلاث مرات: لوجوبها فطرة، لوجوبها بما وعدنا أن نعبد، لوجوبها شكراً لما جعل الملائكة ساجدين لنا.

٧- الصلاة رجوع إلى الرب، فهي ذِكرٌ للمعاد وصورة له، وكذلك للمبدأ، فإنه كمال الطاعة والتعبد

قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾.

ولذلك هي عسيرة على المنكر بالمعاد. قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾. فكما أن الصلاة تهدي إلى الصراط، فكذلك الإيمان بالآخرة.

٨- الصلاة تَـقَرُّبٌ وحضور، قال تعالى: ﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾، فهي طريق إلى الرب، وفيها الدعاء للهداية إلى الصراط المستقيم.

٩- الصلاة قربان لبهيمة النفس عقلاً، ولهذا جمعت بالنحر والنسك، قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾، وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾(٥٧).

١٠- فالصلاة حياة، كما أن "مماتي لله تعالى نسكي»، والنسك علامة لقربان نفسي لله تعالى.

١١- الصلاة صِنْوٌ للصبر، وتحقيقٌ له. ولهذا تستعمل بدلاً منه.

قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾.

---

(٥٧) وبيان ذلك في تفسير سورة الكوثر ضمن تفسير نظام القرآن.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾.

فذكر الصبر هاهنا، كما ذكر الصلاة هناك، واكتفى بواحد منهما عن الآخر. ثم ذكر قصة قربان إسماعيل، فأشار إلى ثلاث جهات منها: الصبر، والقربان، والحياة، للصابرين المتقربين أنفسهم. ومن كون الصبر والصلاة صِنْوين ترتب نتيجة الصلاة من الله على الصبر، فإن الجزاء مثل العمل(٥٨).

١٢- الصلاة استعانة بالله تعالى، لقوله تعالى: ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ «واستعينوا بالصبر والصلاة»، ولما جاء في سورة الصلاة:(٥٩) ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾، وهذه استعانة جامعة. والاستعانة التامة هي التوكل.

وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾(٦٠).

---

(٥٨) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة الآيات ١٥٥-١٥٧)

(٥٩) أي سورة الفاتحة.

(٦٠) مفردات القرآن ٢٠٩-٢١٦.

الباب الثاني

تاريخ الصلاة

دل على أولية الصلاة بوضع سورة الفاتحة في أول الكتب، وجعل التمسك بها التمسك بالكتاب حيث قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ سورة الأعراف الآية ١٧٠، وإشارة في ذلك إلى معنى الكتاب، وهو القرآن العظيم من جهة كونه متضمناً على الشرائع، وهكذا قال تعالى ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾سورة الأنعام الآية ٩٢ [٦١].

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾سورة العنكبوت الآية ٤٥: الصلاة أول الأحكام بعد التوحيد[٦٢].

هكذا أوقات صلاة النبيين السابقين[٦٣].

---

(٦١) تفسير نظام القرآن (تفسير سورة الفاتحة) ص ٣٩، الحاشية.

(٦٢) تعليقات ٢/ ٥٥.

(٦٣) الرائع في أصول الشرائع ص ٥١، وهو من أدل شيء على أولية الصلاة في الأديان كلها، ويعني الفراهي هنا أن أوقات الصلوات الخمس تشبه أوقات الأنبياء في صلواتهم، وسيأتي بيان ذلك في باب أوقات الصلاة، أخرج أبوداود والترمذي وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمّني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين، فصلى بي الظهر حين زالت الشمس، وكانت قدر الشراك، وصلى بي العصر حين كان ظله مثله، وصلى بي يعني المغرب حين أفطر الصائم، وصلى بي العشاء حين غاب الشفق، وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثله، وصلى بي العصر حين كان ظله مثليه، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلى بي العشاء إلى ثلث الليل، وصلى بي الفجر فأسفر» ثم التفت إلي فقال: يا محمد، هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت ما بين هذين الوقتين.»

قال الشاه ولي الله الدهلوي: «وأيضاً لا أحقّ في باب تعيين الأوقات من أن يذهب إلى المأثور من سنن الأنبياء المقربين من قبل، فإنه كالمنبه للنفس على أداء الطاعة تنبيهاً عظيماً والمُهَيِّج لها على=

أول نتيجة الإيمان:

﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ سورة البقرة الآية٣، الصلاة هي أول نتيجة الإيمان، والثانية هي الزكاة، **فإن الصلاة ذكر كما بينه القرآن، ومن أحبَّ أو خاف أكثر الذكر**، ويلزم التقوى رقة القلب، وخلع ما يثقله عن النجاة من حب الدنيا وشهوات النفس، **فالمتقي يتزكى ويطهر، فيرجع إلى أصل الفطرة** وهي اتحاد النفوس كما بين في أول سورة النساء[٦٤]، فالتقوى جامعة للصلاة والزكاة معاً[٦٥].

ثم دَلَّ بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ على ما يتبع الإيمان الصحيح من الحال والأعمال، فإنه ليس مجرد التصور، بل التصديق الذي تغلغل في الفؤاد حتى بلغ نقطة الإرادة منه، فيهيج فيه النظر والرغبة، وبما اقتصر على الصلاة والإنفاق دل على جِماعِ صلاح القلب الناشئ من التقوى والإيمان بالغيب[٦٦].

أول الشرائع:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ سورة العلق الآية ١: أمر النبي ﷺ أولاً بالصلاة[٦٧]، فأمره بالصلاة من جهتين: جهة نعمة الخلق، وجهة نعمة الهداية، وبقوله ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ الآية ٨، دَلَّ على المعاد، وبباقي السورة ثَبَّتَهُ على الصلاة على رغم الطغاة.»[٦٨]

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنعام ٧١-٧٢. فالتوحيد أول، ثم

= منافسة القوم، والباعث على أن يكون للصالحين فيهم ذكر جميل، وهو قول جبريل عليه السلام: «هذا وقت الأنبياء من قبلك.»، لا يقال ورد في حديث معاذ في العشاء " ولم يُصَلِّها أحد قبلكم "لأن الحديث رواه جماعة، فقال بعضهم: إن الناس صلوا ورقدوا، وقال بعضهم: ولا يصليها أحد إلا بالمدينة ونحو ذلك، فالظاهر أنه من قبل الرواية بالمعنى.» (حجة الله البالغة ١/ ٣١٩).

(٦٤) أراد قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ سورة النساء الآية.

(٦٥) تعليقات ١/ ١٧.

(٦٦) تفسير نظام القرآن (سورة البقرة) ص ٧٤.

(٦٧) وهو أول أمر للأنبياء عليهم السلام جميعاً، قال تعالى لموسى عليه السلام في أول كلامه إياه: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ سورة طه الآية ١٤.

(٦٨) تعليقات ٢/ ٤٧٢-٤٧٣.

الإسلام إجمالاً، ثم أول الشرائع في تحقيق الإسلام: الصلاة، وتتبع الصلاة التقوى، وهي جماع الأعمال الصالحة.»[٦٩]

الصلاة والشكر[٧٠]:

الصلاة شكر لربنا، وهو الرب الواحد. فالشرك في الدعاء كفر، كما أن ترك الصلاة[٧١] والإعراض عن ذكره كفر، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي

(٦٩) الرائع في أصول الشرائع ص ٧، قال الحافظ ابن القيم: «والصلاة أول فروض الإسلام، وهي آخر ما يفقد من الدين، فهي أول الإسلام وآخره، وكل شيء ذهب أوله وآخره فقد ذهب جميعه». (كتاب الصلاة ١٦-١٧).

(٧٠) قال الفراهي تحت عنوان «في أولية الشكر والصبر»: «أول فعل الله تعالى الرحمة، وهي تشمل الخلق ونعمه، فأول حق الله تعالى على العبد أن يشكر خالقه المنعم، فأصل الإيمان الشكر، وكل ذلك بعد المعرفة، فأما قبل المعرفة فلا حق عليه، فأعطاه الله المعرفة وهيأ أسبابها، فإذا عرف العبد ربه وشكره فقد آمن به، قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ النساء ١٤٧، فقدم الشكر على الإيمان من جهة كونه أصل الإيمان المقصود، وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ سورة الإنسان ١-٣، فعلمنا أن الله خلقه وهداه، ثم إما شكره على نعمه لاسيما هاتين اللتين هما أول النعم أي الخلق والهداية، وإما لم يشكره فصار كفوراً. (حكمة القرآن ص ١٠٥).

وقال الفراهي أيضاً: «ومما يدل على كون الشكر أول الأعمال كونه شرطاً لقبول الهداية، قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ سورة الأعراف ٥٨، أي مَنْ فيه حاسة الشكر هيجت النعم فيه شكراً لربه، ثم هذه النعم على نفوسه كالمطر على البلاد، فالنفس الطيبة تخرج نبات الشكر والتي خبثت لا تخرج إلا نكدا».

«ألا ترى كيف جمع الشيطان السيئات تحت عنوان عدم الشكر فقال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝١٧﴾، أي أسدهم عن النظر في صراطك المستقيم، وهو معرفة المنعم بما حَفَّهم بالنعم من كل جهة فيتوجهون إليه وحده ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ سورة الأعراف ١٦-١٧. (حكمة القرآن ١٠٦-١٠٧).

(٧١) أخرج مسلم في الإيمان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: بين=

﴿ وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾.
فبناء الصلاة الصبر، وكذلك بناء الشكر الصبر.

ويجب علينا هذا الشكر خاصة، لأنه تعالى أمر الملائكة بالسجدة لآدم، فوجب عليه أن يسجد لربه. قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾. فترك الصلاة منا صار أشد كفراً من عصيان إبليس بثلاث مرات: لوجوبها فِطرةً، لوجوبها بما وعدنا أن نعبد، لوجوبها شكراً لما جعل الملائكة ساجدين لنا.(٧٢).

= العبد والكفر ترك الصلاة. قال الشاه ولي الله الدهلوي: «الصلاة من أعظم شعائر الإسلام وعلامته التي إذا فقدت ينبغي أن يحكم بفقده لقوة الملابسة بينها وبينه، وأيضاً الصلاة هي المحقِّقة لمعنى إسلام الوجه لله، ومن لم يكن له حظ منها فإنه لم يَبُؤْ من الإسلام إلا بما لا يعبأ به.

(٧٢) مفردات القرآن ٢٠٩-٢١٦.

قال الإمام الكاساني وهو يتحدث عن ثبوت فرضية الصلاة: «وأما المعقول فمن وجوه: أحدها أن هذه الصلوات إنما وجبت شكراً للنعم، منها نعمة الخِلْقة؛ حيث فضل الجوهر الإنسي بالتصوير على أحسن صورة، وأحسن تقويم كما قال تعالى: ﴿ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ ﴾ سورة غافر ٦٤، وقال: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ سورة التين ٤، حتى لا ترى أحداً يتمنى أن يكون على غير هذا التقويم، والصورة التي أُنشئَ عليها، ومنها نعمة سلامة الجوارح عن الآفات إذ بها يقدر على إقامة مصالحه، أعطاه الله ذلك كله إنعاماً محضاً من غير أن يسبق منه ما يوجب استحقاق شيء من ذلك، فأمر باستعمال هذه النعمة في خدمة المنعم شكراً لما أنعم، إذ شكرُ النعمة استعمالها في خدمة المنعم. ثم الصلاة تجمع استعمال جميع الجوارح الظاهرة من القيام، والركوع، والسجود، والقعود ووضع اليد مواضعها وحفظ العين، وكذا الجوارح الباطنة من شغل القلب بالنية، وإشعاره بالخوف، والرجاء، وإحضار الذهن، والعقل بالتعظيم، والتبجيل؛ ليكون عمل كل عضو شكراً لما أنعم عليه في ذلك.»

«ومنها نعمة المفاصل اللينة، والجوارح المنقادة التي بها يقدر على استعمالها في الأحوال المختلفة؛ من القيام، والقعود، والركوع والسجود، والصلاة تشتمل على هذه الأحوال، فأمرنا باستعمال هذه النعم الخاصة في هذه الأحوال في خدمة المنعم؛ شكراً لهذه النعمة، وشكر النعمة فرض عقلاً وشرعاً.»

«ومنها: أن الصلاة - وكل عبادة - خدمة الرب جل جلاله، وخدمة المولى على العبد لا تكون إلا فرضاً، إذ التبرع من العبد على مولاه محال، والعزيمة هي شغل جميع الأوقات بالعبادات بقدر الإمكان، وانتفاء الحرج إلا أن الله تعالى بفضله وكرمه جعل لعبده أن يترك الخدمة في=

الصلاة والصبر(٧٣):

إنهما يشتقان من نبعة واحدة، وهي التقوى والإيمان بالآخرة، قال تعالى:

= بعض الأوقات رخصة حتى لو شرع لم يكن له الترك؛ لأنه إذا شرع فقد اختار العزيمة، وترك الرخصة؛ فيعود حكم العزيمة، يحقق ما ذكرنا أن العبد لا بد له من إظهار سمة العبودية؛ ليخالف به من استعصى مولاه، وأظهر الترفع عن العبادة، وفي الصلاة إظهار سمة العبودية؛ لما فيها من القيام بين يدي المولى جل جلاله، وتَحنيةُ الظهر له، وتعفير الوجه بالأرض، والجُثُو على الركبتين، والثناء عليه، والمدح له».

و«منها أنها مانعة للمصلي عن ارتكاب المعاصي؛ لأنه إذا أقام بين يدي ربه خاشعا متذللاً مستشعراً هيبة الرب جل جلاله خائفا تقصيره في عبادته كل يوم خمس مرات عصمه ذلك عن اقتحام المعاصي، والامتناع عن المعصية فرض، وذلك قوله تعالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ سورة هود ١١٤، وقوله تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾ سورة العنكبوت ٤٥.

ومنها أنها جعلت مكفرة للذنوب والخطايا والزلات والتقصير، إذ العبد في أوقات ليله ونهاره لا يخلو عن ذنب، أو خطأ، أو زَلَّة، أو تقصير في العبادة، والقيام بشكر النعمة، وإن جل قدره وخطره عند الله تعالى؛ إذ قد سبق إليه من الله تعالى من النعم، والإحسان ما لو أخذَ بشكر ذلك لم يقدر على أداء شكر واحدة منها، فضلاً عن أن يؤدي شكر الكل؛ فيحتاج إلى تكفير ذلك، إذ هو فـرض ففرضت الصلوات الخمس تكفيراً لذلك.» (بدائع الصنائع ١/ ٤٥٨-٤٦٠).

(٧٣) قال الفراهي تحت عنوان «في أولية الشكر والصبر»: «الصبر شرط الشكر وشرط التقوى، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾ سورة آل عمران ١٢٥، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ سورة آل عمران ٢٠٠».

«ألا ترى شرط الصبر في قصة موسى وصاحبه، فتعلم موسى الصبر، وعلق في القرآن الجنة والهداية وإتمام النعمة بالصبر.»

«ثم جعل الصبر جزءاً عظيماً لأعظم الأعمال وهو الصلاة والجهاد، كما قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ سورة البقرة ٤٥، فجعل الصلاة تحت الصبر، وكذلك حيث قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾ سورة إبراهيم ٥، وسورة لقمان ٣١، وسورة سبأ ١٩، فالمصلي هو الشكور.»

«والصبر يغشى جميع حالات الصلحاء، فإنهم في دار الغرور والابتلاء هذه ينتظرون العاقبة الحسنى، فأكبر عونهم الصبر والصلاة، وهو ذكر الله والاعتصام به بالصبر ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾ سورة طه ١٣٢، والصبر هو الكبح لشهوات النفس، فالصبر هو القيام على أول العبودية التي هي أول الفطرة وهو أصل الاطمئنان». (حكمة القرآن ١٠٧).

﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ أي المتقين الخائفين الخاضعين، ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾. ثم إنهما يتعاونان، لأن الصلاة ذكر، فلا يدع القلب يذهل عن الغيب، وبذلك يسهل عليه الصبر، وأما الصبر فهو الاستقامة عند هجوم الفتن والشدائد فيحفظ القلب عن الذهول فيذكر ربه ويصلي، فههنا دائرة، شِدَّةٌ في الإيمان، وصبرٌ على أذى أعداء الله، وصلاة ...[٧٤].

﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ سورة البقرة الآية ٤٥: أي استعينوا بالصبر والصلاة على الإتيان بما أمرناكم به والانتهاء عما نهيناكم عنه ...

واعلم أن المراد بهذا الأمر هو التمسك بالصلاة، وأما ذكر الصبر قبلها فلكونه شرطاً وذريعة إليها، فإن الصلاة لا يمكن التمسك بها إلا بالصبر، فالصلاة كجسر عظيم، لا بد له من أساس شديد، قال تعالى مخاطباً لنبيه عليه السلام ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾ سورة طه الآية ١٣٢، وبين في ذلك في الجملة التالية (أي وإنها لكبيرة ...) فاطلب البيان من تفسيرها.

واعلم أن المراد من الاستعانة بالصلاة هو الاستعانة بالرب تعالى، كما هو ظاهر، قال تعالى ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ ﴾ سورة الأعراف الآية ١٢٨، أي صلوا لربكم، وذلك بأن الصبر الذي جعله الله تعالى رأس الأمور وأساسها هو الاستقامة بطمأنينة القلب على وعد الله، والاستحقار لما يقاسيه العبد من البلاء والأذى، كما قال تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ سورة هود الآية ٤٩، فهذه الصفة هي التي يلتصق بها العبد بربه ولا يزال قائماً بين يدي مولاه تَوَّاباً أَوَّاباً، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ سورة الرعد الآية ٢٢، وقال تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ سورة طه الآية ١٣٠، فالصبر من هذه الجهة من شرط الصلاة، ولذلك يعبر بالصابر عن المصلي، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ سورة البقرة الآية ١٥٣، فنبه على أن الصابرين هم المصلون، فجعل الصبر دليلاً على الصلاة، فاكتفى بذكره عنها، وههنا

---

(٧٤) رسائل الإمام الفراهي (المجموعة الأولى) دلائل النظام ص ١٣٤، في الحاشية.

جعل الصلاة دليلا على الصبر، لكونها مشتملة عليه[75].

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ لم يذكر أن الصبر عسير لأنه ظاهر[76].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ سورة البقرة الآية ١٥٣، لم يذكر أن الله مع المصلين، لأن المصلي يكون مع الله في الصلاة[77].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾: لم يذكر أن الله مع المصلين لظهوره، ثم في ذكر هذه الجملة بيان دليل الأمر بالاستعانة، فإن المعية معناها النصر والعون، فلم يذكر ذلك للصلاة، فإن الاستعانة في الصلاة ظاهرة، ثم في سورة الأعراف جاء ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾ الأعراف الآية ١٢٨، فبين أن الصلاة نفسها الاستعانة بالله.[78].

اعلم أن الأمر بالصبر والصلاة أمر بها نبي عليه الملة الإبراهيمية، وبه صار إماماً للناس، فدعاهم إلى تلك الجامعة، وأمرنا أيضاً بهما، ولكن صبرنا أعظم وأوسع من صبرهم، وذلك بأن الصبر ربما يكون فعلا وينشأ من شرافة النفس وإبائها، ورسوخ القدم في الطاعة، واحتمال عظائم الأمور، وربما يكون انفعالا واحتمالا للقهر والظلم، وهذا أدنى الصبر، وقد علمنا أن بني إسرائيل كانوا قليلي الصبر بالمعنى الأول، ولكنهم صبروا على ظلم آل فرعون، فرحم الله عليهم وبعث منهم رسولا عظيماً، فكان يأمرهم بالصبر الذي كان رأس مالهم، كما حكي الله تعالى عن ذلك حيث جاء في القرآن ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾سورة الأعراف الآية ١٢٨-١٢٩.

وقال تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا

---

(٧٥) تفسير نظام القرآن (سورة البقرة) ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٧٦) تعليقات ١/ ٣٤.

(٧٧) تعليقات ١/ ٣٤.

(٧٨) تعليقات ١/ ٥٢.

كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴾ سورة الأعراف الآية ١٣٧ (٧٩).

الصبر كالأساس للشكر، فهو بالقوة موجود قبله. والشكر قبل كل عمل صالح، قال تعالى: ﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ سورة البقرة ٥٤، ٣٥١، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾ سورة إبراهيم ٥، سورة لقمان ١٣ سورة سبأ ٩١، سورة الشورى ٣٣، وقال تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ سورة الإنسان ١-٣.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ سورة فصلت ٣٠، سورة الأحقاف ١٣، أي صبروا على الإيمان ولم تزعزعهم المصائب.

والدليل على كون الشكر قبل الأعمال الصالحة في الوجوب والوجود أن جميع الأعمال الصالحة تنشأ من استعمال القوى في طاعة الرب وحسب رضاه. وذلك هو الشكر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾.

ومن جهة أخرى أن العدل أساس الحقوق. وأول الحق العبوديةُ والإسلام للرب. وهذا بحسب وجوب الحق. وأما بحسب الوجود فأول الحقوق الشكر، فإن أول الفيض رحمة، ويلزمها الشكر منا. ولزومُ الشكر للرحمة مبني على العدل والقسط، وهو الحق بمعنى ضد الباطل. ولكن الشكر يحتاج إلى الصبر، لأن العبد يُبتلى وينتظر الجزاء الذي هو وجود الحق والعدل في الآخرة، فالضَّجُورُ أبعد عن الشكر، فكان الصبر بناء للشكر، ولذلك قال تعالى: ﴿ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾.

فالصبر متقدم على الشكر تَـقَدُّمَ الجزء على الكل، والشكر متقدم على الصبر تقدم الأفضل الجامع.

وأيضاً الشكر متقدم تقدم الإيمان على العمل، فإن الشكر كيفية تنشأ من معرفة النعم. فأول العبودية هو الشكر وجوباً وزماناً.

---

(٧٩) تفسير نظام القرآن (سورة البقرة) ص ٢٣٦-٢٣٧.

وأيضاً الشكر دائم متصل لدوام النعمة، والصبر عند الشدائد.

وأيضاً الشكر إثبات، وأما الصبر فهو كَفُّ النفس عن الضجر.

وأيضاً الشكر هو العون على الصبر. فإن من رسخ في قلبه معرفة النعم، وآمن بربه، صبر على المكاره لرضاه.

والآن تأمل في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فاتحة الصلاة، وفي قوله تعالى: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ سورة يونس ١٠، فهذا يدل على جامعية الشكر.

أيضاً في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، فالعبودية الخالصة لله هي الشكر، والاستعانة به أَمسُّ بالصبر.

أيضاً في قوله تعالى حكاية عن قول إبليس: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾، أي التوحيد، ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾، أي مُوحَّدين.

فدل على أن الشكر هو الإيمان.[٨٠]

الصبرعند العرب ليس من التذلل في شيء، كما يصبر المضطهد العاجز، بل هو أصل القوة والعزم. وكثر في كلام العرب استعماله بهذا المعنى، قال حاتم الطائي:

وغَمرةُ موتٍ ليس فيها هوادة ... يكون صدور المَشرفي جسورها

صـبـرنـا له في نهكها ومصابها ... بـأسيافـنـا حتى يبوخ سعيرها

وقال الأصبغ:

يا ابن الجحاجحة المداره ... والصابرين على المكاره

وقال زهير بن أبي سلمى:

قَودُ الجياد وإصهار الملوك وصبـ ... ـر في مواطن لو كانوا بها سئموا

---

(٨٠) مفردات القرآن ص ٢٠٥-٢٠٧.

وهذا كثير.

وفي القرآن بَيَّنَ معنى الصبر، حيث قال تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ ﴾. فذكر من مواطن الصبر الفقر، والمرض، والحرب وذلك أصول الشدائد. وكذلك الصبر عند نزغات النفس على أذى الناس كما مر بك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾.[81]

(٨١) مفردات القرآن ص ٢٨٨-٢٩٠.

الباب الثالث

الصلة بين الصلاة وغيرها من أمور الدين

الصلاة تحقيق للتوحيد:

الصلاة إقرار بالتوحيد، وذكر لعهدنا بعبوديته الخالصة. والذكر هو الذي يجعل المعتقد به راسخاً في النفس حتى تتكيف به. أصل الخلقة تَعَبُّدٌ للخالق. فترك العبادة تناقض في الوجود. ولذلك كل خلق يعبد الرب. والصلاة مخ العبادة، فلزم جميع الخلق لزوم التوحيد والتعبد. وقد يعبر عن الصلاة بالتسبيح. كل خَلْقٍ له صلاة، كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ سورة النور ١٤.

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ سورة الإسراء ٤٤.

وقال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩﴾ سورة الرعد ١٣ [٨٢].

---

(٨٢) مفردات القرآن ص ٢١١-٢١٣. وقال الفراهي في بيان معنى الإسلام: «الإسلام معناه ظاهر بَيِّنٌ، وهو الطاعة والخضوع. ولكن القرآن رفع هذه الكلمة فخصَّها لطاعة الله، مثل كلمة "الدين"، فإنه الطاعة في أصل اللغة، وقد استعمله العرب لطاعة الله. ثم لهذا المعنى وجوه، ونتائج، وتأريخ. والقرآن دل على كل ذلك. فنذكر ما يتعلق بهذه الكلمة من وجوهها:

١- الإسلام هو العبودية، وهو تسليم النفس لرضى الله تعالى بالكلية، وبه يتقرب العبد إلى مولاه، ويرفع منزلته حسب كماله في الإسلام. قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

٢- فذكر هاهنا طرفاً من تاريخ الإسلام، وهو عهده بالله على القيام به ووصيته لذريته، أي جعلهم الله أمة مخصوصة لخدمة الدين. وهذا هو معنى الإسلام لله.

٣- وَيَقْرُبُ منه معنى "القربان" و "النذر" كما يتبين لك من القرآن حيث ذكر طرفاً آخر من تاريخ إسلام إبراهيم عليه السلام، ودلَّ على كمال معنى الإسلام وسماه "إحساناً"، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ =

= فهذا هو كمال الإسلام المسمى بالإحسان.

٤- ثم ذكر طرفاً آخر من إسلام إبراهيم عليه السلام حين دعا لأمة مسلمة وارثة لملته، ولأن يبعث فيهم نبياً منهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٨) ﴾

قوله ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ أي أرِ هذه الأمة بوسيلة نبيٍّ منهم، كما صرح بذلك فقال: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

وليعلم أن هذه الأمور ليست وقائع متبددة، بل كل ذلك يجتمع حول نقطة واحدة: وهي واقعة القربان. وحفظها الله بشريعة الحج ومناسكه، لنعلم تاريخ القربان وإسلام إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. وأخبر الله عن حالة الذين حققوا حجهم بقوله عز من قائل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾، فإسلام النفس لمرضاة الله هو معنى الحج والإسلام.

٥- ثم علّمنا الله تعالى سَعةَ معنى هذا الإسلام حيث قال: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾.

فدل على أربعة أمور: الأول أن كل شيء أسلم لله. والثاني أن كلهم يرجعون إليه، وهذا لازم للإسلام، فإن رجعوا إلى غيره كان الإسلام باطلا، فدل على المعاد. والثالث أن الإسلام يتحقق بإطاعة رسله، لما يظهر من سياق هذه الآية. والرابع أن الإسلام لا اختلاف فيه، فإن كلهم أسلموا لله، فدينهم واحد، فلا مشاجرة فيه، كما صرح في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

٦- هذا. ثم دل فيه على طرف آخر من معنى الإسلام، وهو السلم كما صرح به في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

٧- ثم الإسلام يُنافي الشرك. فالمسلم هو الموحد، لأن من أشرك بالله لم يسلم نفسه لله تعالى. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ أي أنتم لستم بمسلمين. فأنتم خلاف ملة إبراهيم الذي وصى بنيه بالإسلام، كما مر، ولذلك قال=

الصلاة تحقيق للحنيفية[٨٣]:

إنا نرى في أوقات الصلاة حِكَماً جمة، فمنها أنها تَجنَّبتْ أوقات عبادة المشركين لدلالتها على عبادة الشمس والكواكب، فصلاة الفجر ذهابُ نور الكواكب والقمر، وصلاة الظهر زوالُ الشمس وانحطاطها، وصلاة العصر سقوطها، وصلاة المغرب أُفولها، وصلاة العشاء غيبة آثار الشمس كلية.

فأما المشركون فيصلون عند طلوعها وتَوسُّطها في كبد السماء، وكانت المجوس تقسم اليوم والليل بنصف الليل ونصف النهار، وطلوع الشمس وغروبها، وتزيد في الحر في النهار جزءاً ثالثاً، ويسمونها «كاه»، ويعتقدون أن كل هذه الأجزاء تحت إله.

فأوقات صلاتنا إخبارٌ ببراءة من عبادة الشمس وكُلِّ آفل، كما قال إمامنا إبراهيم صلوات الله عليه ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾سورة الأنعام ٧٦، وهكذا جاء في الحديث أن أوقات الطلوع والغروب قبلة الشياطين[٨٤].

= بعد آيتين: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ فبَيَّن معنى الإسلام. ويشبه هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ ﴾، أي تولى عن الشرك، وأقبل إلى ربه كالعبد، ﴿ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾أي أحسن إسلامه بالاستقامة وبالأعمال الصالحة ورضى القلب. فدل على تمام معناه، لا على أمر زائد، فإن من أسلم وجهه لله لا بد أن يكون محسناً. وفي هذا التوضيح فائدتان: الأولى بيان أن العمل الحسن يلزم الإسلام. والثانية أن البقاء على الإسلام لازم. فمن أسلم مرة فكأنه عاهد بالطاعة. ولذلك قال تعالى: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾. (مفردات القرآن ١٤٧-١٥١).

(٨٣) قال الزمخشري في تفسير الآية ١٣٥ من سورة البقرة ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ ﴾: «الحنيف: المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق، والحنف: الميل في القدمين، وتحنف: إذا مال، وأنشد:

ولكنا خُلقنا إذ خلقنا حنيفاً ديننا عن كل دين (الكشاف ١/ ٢٢٠-٢٢١).

(٨٤) سنعيد هذا النص في باب بيان أوقات الصلاة، ونورد فيه الأحاديث المؤكدة لحضور الشياطين في تلك الأوقات.

وكان إبراهيم عليه السلام من قوم المجوس، فقبل الاعتزال عنهم صلى معهم، فكان أول صلاته صلاة المغرب بعد الإعلان بالبراءة، وقد وافقهم بحسب الظاهر، وخالفهم بأخذ أوقات ترد عليهم(٨٥).

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ ﴾ سورة النحل الآية ٤٨: المعنى أن الظلال ساجدة، فأينما وقعت رؤوسهم في الصبح فهو قبلتهم، فإذا جعلت تفيء إلى جهة ما فبحسب البلاد، وربما فاءت إلى يمينها، وربما فاءت إلى شمالها، وقد جعلها سجداً معنى وصورة، أما معنى فلجريان أمره تعالى في كل شيء، وأما صورة فإنها أنكرت السجود إلى جهة الشمس فتتولى عنها أبداً، فهذا من أحسن الآيات لمن اعتبر من الظاهر إلى الباطن، وقد بينا أن أوقات صلاتنا اتخذت إعلاناً لإنكار عبادة الشمس والكواكب، وكان إبـراهيم عليه السلام إمامنا حين قال: ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾سورة الانعام الآية٧٩ (٨٦).

---

(٨٥) الرائع في أصول الشرائع ص ٤٩-٥٠.

(٨٦) تعليقات ١/ ٣٥٠، يقول الجامع (وكلما ورد الجامع في هذا الكتاب فالمرادبه كاتب هذه السطور): أحب الله تعالى من خليله إبراهيم عليه السلام قوله ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴾، فجعله شعاراً للحنيفية، وفرقاناً بين الإيمان والكفر، وأراد من المسلمين أن يكون هذا القول نصب عيونهم ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، مهما شغلتهم الشواغل أو ألهتهم الملاهي أو استولت عليهم الغفلات، فجعل أوقات صلواتهم دليلا عليه، فعليه يستيقظون، وعليه ينامون، وبه من طور إلى طور يتحولون، ومن شأن إلى آخر ينقلبون.

يستيقظ المسلم في الصباح لأول صلواته، وقد آذنت النجوم والكواكب والقمر بالرحيل، ولم تطلع الشمس بعد، فما أكملَهُ من وقت وما أتمها من ساعة للنعي على الآفلين، يقوم المسلم ويتوضأ، ويتوجه إلى ربه قائلاً﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴾، فكل ما في الكون آفل، ومحبة الآفلين تنجيسٌ للقلب وتلويث للعقل، ويتبرأ العبد المؤمن من محبة الكواكب والقمر والشمس وسائر المظاهر، ويقبل على رب العالمين، يخصه بالعبادة والاستعانة.

ثم تطلع الشمس فينبهر بها المنبهرون، ويخضع لقوتها الخاضعون، ويعجب من سطوتها العاجبون، وما إن ينتصف النهار إلا وتميل الشمس إلى مغربها، ويتجلى ضعفها، ويستحكم فيها الزوال، فيترك المسلم شغله وراحته ويقبل لصلاة الظهر قائلاً: زالت الشمس وحق لها أن تزول، ولكن ربي لا زوال له، هو حي لا يموت، قيوم السماوات والأرضين، وجاء وقت الظهر تذكيراً =

الصلاة عهد:

الصلاة عهدنا بالله[87]، قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾، وقال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ

= له بقول إبراهيم عليه السلام ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴾.

ولا يمضي إلا قليل حتى تغيب الشمس وراء الجبال، فبعد أن غطت الشمس بأضوائها المرتفعات والتلال والجبال، فاءت فصارت المرتفعات والتلال والجبال تحجبها، فيقوم المسلم، ويسرع لصلاة العصر، ضعفت الشمس وضعفت أضواؤها، وانكسرت مظاهر سلطانها وقوتها، ولم يضعف رب العالمين، ولم يحجبه شيء، هو الظاهر والباطن، وتذكر العبد المؤمن بذلك قول إبراهيم عليه السلام ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴾.

ثم يحدث ما يُدهشُ الألباب والعقول، إن الشمس التي طلعت في الصباح بأضوائها الساطعة وأنوارها الخارقة وصارت أكبر حقيقة في الكون أعجزت حتى العميان والنائمين أن ينكروها، غربت وغربت معها قوتها وشوكتها وأبهتها، فيتطهر العبد المؤمن ويقوم في خشوع يعبد من لا غروب له ولا أفول، ويقول: ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴾.

وبعد قليل تغيب جميع آثار الشمس، ويغشى الأرض ظلام مطبق، فيقوم العبد المسلم قائلاً: ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴾ ويؤدي صلاة العشاء، فكانت بداية يومه تذكيراً لقول إبراهيم عليه السلام، وكانت نهاية يومه تذكيراً له، وكان كل طور من أطوار يومه تذكيراً له. وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ وغيره من الآيات الكثيرة في كتاب الله تعالى.

إن العبد المسلم الذي يذكره الله كل يوم عند أفضل عباداته قول إبراهيم عليه السلام ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴾ لايمكن أن يستهويه شيء في الأرض ولا في السموات، لا المآكل والمشارب تسعده، ولا الشهوات والملاذ تأسر فؤاده، ولا المناصب والوظائف تستميله، ولا الأموال والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة تسره، إن الصلاة تجعله لا يبغي دون رب العالمين مطلباً، فيا أيها المؤمن أسلم لرب العالمين، واسجد له، واقترب.

(٨٧) وهو معنى شهدت به بعض الأحاديث، أخرج مالك في الموطأ، كتاب صلاة الليل، باب الأمر بالوتر عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة. وأخرجه أيضاً أبو داود في الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات، والنسائي في الصلاة، باب المحافظة على الصلوات الخمس، وابن ماجه في إقامة الصلاة.

وأخرج أحمد عن بريدة بن حصيب أن النبي ﷺ قال: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن=

أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾[٨٨].

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾سورة المؤمنون الآية ٨: إشارة إلى كون الصلاة عهداً[٨٩].

الصلاة ملاك العبادة[٩٠]:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾سورة الأعراف الآية ١٧٠:

= تركها فقد كفر»، وأخرجه الترمذي في الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، والنسائي في الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة.

(٨٨) مفردات القرآن ص ٢١٣.

(٨٩) تعليقات ١/ ٤٣٠.

(٩٠) يقول الجامع: الغاية التي خُلقنا من أجلها، هي أن نعبد ربنا عز وجل، لا نشرك به شيئاً، فهو المتوحد بالألوهية، لا إله إلا هو، ولا معبود لنا سواه، وهو القائل ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾. والله حميد مجيد، غنيٌّ عن عبادة الخلق وطاعته، والإنسان هو الفقير إلى عبادته، المحتاج إلى طاعته، فإن لم يعبده كان ناقصاً أبتر، وكان خلقه عبثاً وسدى، وإذا عبده سعى إلى غايته منعماً عليه مرضياً عنه، ونفع العبادة والطاعة إليه يعود، وهي خير زاد له إلى الغفور الودود، والحمد لله ربنا الذي طاعته قُربى، وعبادته سعادة، وشكر نعمه نعمة، فيا عجباً كيف يعصيه العاصون الماردون، وكيف يجحده الكافرون الجاحدون؟

وأفضل أنواع العبادة أن يقيم العبد الصلاة لوقتها في طهورها – ومن الضلال تفاوت الميقات وضياع الصلوات – ويتلو كتاب الله في تدبر، ويقرنه ما ورد في حمده وتسبيحه في القرآن والسنة، ملازماً أوامره وطاعاته، ومجتنباً نواهيه ومعاصيه، ومبتغياً الحلال الطيب من رزقه، ومباعداً للحرام.

فإن قيل: ما حَدُّ العبادة؟ قلت: لا حدود للفضائل مادام العبد مطيقاً لها ومواظباً عليها، وإنما الوسائل هي التي تحد وتقصر، وقد كان النبي ﷺ أعبد الناس لربه، يصلي شطر نهاره وجُلَّ ليله، ويقضي ما يتبقى من يومه في سائر أنواع العبادة والطاعات، وإن عُكَّافَ كعبة جلاله يعترفون بتقصيرهم في العبادة والطاعة معلنين أنهم ما عبدوه حق عبادته وما عرفوه حق معرفته، يستعذبون المعاناة في سبيله ويستحلون، منعمين سعداء، قال أحد كبار عباده العارفين: إن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له، لم يكن شيء قط عنده أحلى مَنْ ذلك، ولا أطيب، ولا ألذ. وقال: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

جعل الله الصلاة ملاك أمر العبادة وإيفاء العهد، وهكذا قال في سورة مريم الآية ٥٩ ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾، وقد علمنا من كتب اليهود أنهم أضاعوا الصلاة (سورة طه ١٦)، ومن القرآن (مريم ٥٩)، تأمل في المناسبة بين التقوى والتمسك بالكتاب، وإقامة الصلاة والإصلاح.

﴿ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ١- أي ذكروا الله ولم يغفلوا عنه، فوقفوا للاستقامة والعمل بالكتاب، ٢- ثم في الصلاة يقرأ الكتاب فلا يضيع، ٣- ثم بالصلاة يذكر الكتاب، أي ما كتب عليهم، فلا يضيع، ٤- ثم من تمسك بالكتاب أي الأحكام لا بد أن يفهم أول الأحكام، وهو الصلاة، والآية التالية توضح هذه الوجوه كلها، فتأمل فيها، ويظهر منها وجوب قراءة القرآن كوجوب العمل به.

أصل الإصلاح هو التمسك بالكتاب وإقامة الصلاة، وفي سورة لقمان وصل إقامة الصلاة بالمعروف والنهي عن المنكر مع الأمور التي تنبغي للأمة، فدل على معنى الإصلاح وعلى أن الصلاة أول الإصلاح وأول معروف، وتركها أول منكر.[٩١]

الصلاة والزكاة:

اعلم أن الصلاة والزكاة أول الشريعة، وبهما يتحقق الإيمان، أين الإيمان المجرد عن العمل.

انظر تفسير قوله تعالى ﴿ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ سورة المدثر الآيات ٤٠-٤٨ تجد هناك ما يكشف عن رفيع منزلة الصلاة.

وكذلك انظر تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة الزخرف الآية ٣٦، وقوله تعالى ﴿ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ سورة مريم الآية ٥٩، وآيات أخر، فقد أتبعَ ترك الصلاة الغي

---

(٩١) تعليقات ١/ ٢٢٩-٢٣٠.

والتكذيب والحرمان من الشفاعة(٩٢).

﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: فاعلم أن القرآن جعل الصلاة والزكاة رأس الخيرات، فكثيراً ما يكتفي بذكرهما عن ذكر سائر الأعمال الصالحة، وهذا يدلنا على عظيم منزلتهما، وكونهما جِماعَ الحسنات، ويظهر بأدنى التدبر أنهما كذلك، فإن الإنسان له نسبة إلى الرب تعالى، وأخرى إلى الخلق، فصلاح الإنسان وفلاحه أن يذكر ربه ويلتصق به بكليته، وأن يواسي بالمخلوق، ويُزيل الشُّحَّ عن نفسه، فإن فعل ذلك فتحت له أبواب الخيرات كلها، كما قال تعالى ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ سورة البقرة الآية ١٥٢، وقال تعالى ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ سورة الحشر الآية ٩، وسورة التغابن الآية ١٦، وقال تعالى ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ سورة التوبة الآية ١١.

وقال تعالى في وصف إسماعيل عليه السلام ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ سورة مريم الآية ٥٥.

وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ سورة مريم الآية ٣١. وهذا كثير، فليس أن سائر الشرائع لا حاجة إليها، ولكن هاتين أصلان للجميع، ويشبه ذلك ما جاء في الإنجيل (متى ٢٢: ٣٥-٤٠):

«وسأله واحد منهم وهو ناموسي ليجربه قائلاً: يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس، فقال له يسوع: تُحبُّ الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك، هذه هي الوصية الأولى والعظمى، والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك، بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء»، أي سنن الأنبياء.

فبين أن الالتصاق بالرب تعالى، والمواساة بالخلق هما أكبر الأحكام، ولا يخفى أن الصلاة والزكاة لتحقيق هاتين الحالتين، وأما تفصيل كونهما جامعة لجميع الخيرات فقد ذكرنا طرفاً منه في تفسير الكوثر لكونها أحق به، فلا نعيده(٩٣).

---

(٩٢) تفسير نظام القرآن (سورة القيامة) ص ٢٤١-٢٤٢.

(٩٣) تفسير نظام القرآن (سورة البقرة) ص ١١٧-١١٨، وقال الفراهي: «الزكاة» ما ينفقونه=

الصلاة والإيمان باليوم الآخر:

الصلاة رجوع إلى الرب، فهي ذكر للمعاد وصورة له، وكذلك للمبدأ، فإنه كمال الطاعة والتعبد قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾.

ولذلك هي عسير على المنكر بالمعاد. قال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾ فكما أن الصلاة تهدي إلى الصراط، فكذلك الإيمان بالآخرة[٩٤].

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ﴾ وهو من جهة يشبه التقوى، ﴿ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ البقرة ٤٥-٤٦. فالإيقان بالمعاد يبعث إلى الصلاة والتقوى، فالصلاة تُـقَرِّبُ إلى الرب، والتقوى تُبعِدُ عن سخطه، ومنشأ التقوى ذكر علم الرب بأفعالنا، ومنشأ الصلاة ذكر رحمة الرب علينا[٩٥].

الصلاة والتقوى:

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة البقرة الآية٢: واعلم أن التقوى

=في سبيل الله، وهو الصدقة، ثم خُصَّتْ بما كتبه الله في الأموال، وتسميته بالزكاة من زكا يزكو: طهر، كما في القرآن: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾، أي طاهرة عن الذنب. وأيضاً زكا الزرع: طال ونما. ووجه التسمية أنها طهارة للنفس والمال، وبركة ونماء له، فجمعت المعنيين. قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ فنبه على كلتا الجهتين لتسمية الزكاة باسمها، لها جهات: فمنها كونها ذكراً للمعاد. فإنما نعطي أموالنا، فنردها إلى الرب، وهكذا نرد أنفسنا، ولهذا وجب الخضوع فيها: ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾، ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾، فصارت كالصلاة من جهة أخرى، أي الخشوع والخوف. (مفردات القرآن ص ١٩٠-١٩١).

(٩٤) مفردات القرآن ص ٢١٤-٢١٥.

(٩٥) الرائع في أصول الشرائع ص ٢٠.

رأس الأعمال كما أن الهدى رأس العلوم، فجمع بينهما، كما قال: ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ سورة العلق ١١-١٢.

واعلم أن أول أمر النبي الإنذار ليتقوا، وذلك تنبيه العقل وإبطال خلع العِذار، وعلى ذلك آيات كثيرة.

واعلم أن الصلاة رأس الأعمال كما أن التقوى رأس الأعمال، واعلم أن التقوى كَفٌّ، والصلاة رجوعٌ، والتقوى انتهاء، فلها تَقَدُّمٌ على العمل، والانتهاء أول ظهور العقل، ولذلك سمي عقلاً وحِجراً ونهى[٩٦].

(٩٦) تفسير نظام القرآن (سورة البقرة) ص ١٢٤، الحاشية.

الباب الرابع

شروط الصلاة

الطهارة:

﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ سورة المائدة الآية ٦.

قد ذكر الله تعالى في سورة العقود (المائدة) ما أحلَّ من المآكل، ثم من المناكح، ثم الوضوء، فههنا أمران: الشيء وشرط الشيء، فذكر من الشرائط ما يتطهر به، فالذبحُ طهورٌ للبهائم، والمهر وقصد الإحصان طهور للنساء، والوضوء طهور للصلاة، ثم هدى الله تعالى إلى هذه الحقيقة فقال في آخر الآية ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾. أما الشيء نفسه فههنا ذكر ثلاثة أشياء: طيبات الطعام، والنساء، والصلاة.»

«فإن تدبرتَ علمت أن هذا العالم عالم الفناء والكون، فالشخص والنوع والروح ثلاثة عوالم، فجبر اضمحلالها بالطعام والنكاح والصلاة، ثم ترى المناسبة بين الطعام والنكاح في تخصيص محلهما من المحرمات حتى نزلت آيتهما على صورة واحدة حيث قال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ سورة النساء الآية ٢٣، و ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾ سورة المائدة الآية ٣، وكذلك ترى المناسبة بين النكاح والصلاة من جهة أخرى، فالنكاح وازعٌ عن التجنس، والصلاة ﴿ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ سورة العنكبوت الآية ٤٥ (٩٧).

نواقض الوضوء:

نواقض الوضوء كما جاء في الحديث مستنبطة من قوله تعالى ﴿ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ فنبه بلفظ المجيء من الغائط على كل ما فصلته السنة(٩٨).

---

(٩٧) فاتحة نظام القرآن ٤٤-٤٥، وتعليقات ١/ ١٤٧-١٤٨.

(٩٨) الرائع في أصول الشرائع ص ١١٧-١١٨، وهذا هو قول كثير من المحققين، قال البخاري=

الزينة للصلاة:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ سورة الأعراف الآية ٢٩: ضل فيه الكفار، فتوهموا أن اللباس خلاف الإخلاص، فلنتجرد عن أسباب الدنيا، فطافوا عراة وظنوا أنهم عادوا مخلصين كما بدأوا، فهدانا الله أن الإخلاص هو إخلاص الدين، واتخاذ الزينة من العبودية(٩٩).

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ سورة الطور ٤٨-٤٩، و﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ سورة الشعراء الآيتان ٢١٧-٢١٨: كما أن العروس تزين وتحلى لحين خلوتها إلى العريس، فكذلك يحب الرب أن يرى العبد في أجمل صورته، وهي حين يقوم لربه خاشعاً ناظراً إلى رحمته، وهي وجهه الجميل، فيقبل عليه بوجهه الكريم، وأحسن أوقات خلوته آخر الليل(١٠٠).

=في صحيحه، كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين من القبل والدبر، وقول الله تعالى: ﴿ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ ﴾: وقال عطاء فيمن يخرج من دبره الدود أو من ذكره نحو القملة: يُعيدُ الوضوء، وقال جابر بن عبد الله: إذا ضحك في الصلاة أعاد الصلاة ولم يعد الوضوء، وقال الحسن: إن أخذ من شعره وأظفاره أو خلع خفيه فلا وضوء عليه، وقال أبو هريرة: لا وضوء إلا من حدث، ويذكر عن جابر أن النبي ﷺ كان في غزوة ذات الرقاع فَرُمِيَ رجلٌ بسهم فنزفه الدم فركع وسجد ومضى في صلاته، وقال الحسن: ما زال المسلمون يصلون في جراحاتهم، وقال طاوس ومحمد بن علي وعطاء وأهل الحجاز: ليس في الدم وضوء، وعصر ابن عمر بَثْرة فخرج منها الدم ولم يتوضأ، وبزق ابن أبي أوفى دماً فمضى في صلاته، وقال ابن عمر والحسن فيمن يحتجم: ليس عليه إلا غسل محاجمه.

قال الحافظ ابن حجر في شرحه عليه: «والمعنى مَنْ لم ير الوضوء واجباً من الخروج من شيء من مخارج البدن إلا من القبل والدبر، وأشار بذلك إلى خلاف من رأى الوضوء مما يخرج من غيرهما من البدن كالقيء والحجامة وغيرهما، ويمكن أن يقال: إن نواقض الوضوء المعتبرة ترجع إلى المخرجين : فالنوم مظنة خروج الريح ، ولمس المرأة ومَسُّ الذكر مظنة خروج المذي.»

(٩٩) تعليقات ١/ ٢١٢-٢١٣، وقال الشاه ولي الله الدهلوي: «اعلم أن لبس الثياب مما امتاز به الإنسان عن سائر البهائم، وهو أحسن حالات الإنسان، وفيه شعبة من معنى الطهارة، وفيه تعظيم الصلاة وتحقيق أدب المناجاة بين يدي رب العالمين، وهو واجب أصلي جُعِلَ شرطاً في الصلاة لتكميله معناها. (حجة الله البالغة ١/ ٣٢٨).

(١٠٠) تعليقات ٢/ ٢٧٠-٢٧١. =

= يقول الجامع: أَقلُّ الزينة ستر العورة للرجال والنساء، وأكمل الزينة ما تيسر مما تعارف الصالحون المتبعون للسنن والآثار عليه، ومن تمام الزينة لبس النعال، أخرج البخاري في الصلاة، باب الصلاة في النعال عن أبي مسلمة سعيد بن يزيد الأزدي، قال: سألت أنس بن مالك: أكان النبي ﷺ كان يصلي في نعليه؟ قال: نعم.

قال ابن رجب في شرحه في فتح الباري: والصلاة في النعلين جائزة، لا اختلاف بين العلماء في ذلك، وقد قال أحمد: لا بأس أن يصلي في نعليه إذا كانتا طاهرتين. وليس مراده إذا تحقق طهارتهما، بل مراده إذا لم تتحقق نجاستهما. يدل على ذلك أن ابن مسعود قال: كنا لا نتوضأ من موطئ. خرجه أبو داود. وخرجه ابن ماجه، ولفظه: أمرنا أن لا نكفت شعراً ولا ثوباً، ولا نتوضأ من موطئ. وخرجه وكيع في كتابه، ولفظه: لقد رايتنا وما نتوضأ من موطئ، إلا أن يكون رطباً فنغسل أثره. وروي عن ابن عمر، أنه قال: امرنا أن لا نتوضأ من موطئ. خرجه الدارقطني في العلل. وذكر أن بعضهم لم يرفعه، وجعله من فعل ابن عمر. والمراد بذلك أن من مشى حافياً على الأرض النجسة اليابسة أو خاض طين المطر، فإنه يصلي ولا يغسل رجليه. وقد ذكر مالك وغيره أن الناس لم يزالوا على ذلك. وذكره ابن المنذر إجماعاً من أهل العلم، إلا عن عطاء، فإنه قال: يغسل رجليه، قال: ويشبه أن يكون هذا منه استحباباً لا إيجاباً. قال: وبقول جُلِّ أهل العلم نقول. وهذا يبين أن جمهور العلماء لا يرون غسل ما يصيب الرجل من الأرض، مما لا تتحقق نجاسته، ولا التنزه عنه في الصلاة. وقد روي الأمر بالصلاة في النعلين، ما خرجه أبو داود وابن حبان في صحيحه: من حديث شداد بن أوس، عن النبي ﷺ، قال: خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم، ولا في خفافهم. وروى عبد الله بن المثنى، عن ثمامة، عن أنس، قال: لم يخلع النبي ﷺ نعله في الصلاة إلا مرة، فخلع القوم نعالهم، فقال النبي ﷺ: لم خلعتم نعالكم؟ قالوا: رأيناك خلعت فخلعنا، قال: إن جبريل أخبرني أن فيهما قذراً. قال البيهقي: تفرد عبد الله بن المثنى، ولا بأس بإسناده. قلت: عبد الله بن المثنى، يخرج له البخاري كما تقدم. وهذا يدل على أن عادة النبي ﷺ المستمرة الصلاة في نعليه، وكلام أكثر السلف يدل على أن الصلاة في النعلين أفضل من الصلاة حافيا. وقد أنكر ابن مسعود على أبي موسى خلعه نعليه عند إرادة الصلاة، قال له: أبالوادي المقدس أنت؟! وكان أبو عمرو الشيباني يضرب الناس إذا خلعوا نعالهم في الصلاة. وأنكر الربيع بن خثيم على من خلع نعليه عند الصلاة، ونسبه إلى أنه أحدث، يريد أنه ابتدع. وكان النخعي وأبو جعفر محمد بن على إذا قاما إلى الصلاة لبسا نعالهما وصليا فيها. وأمر غير واحد منهم بالصلاة في النعال، منهم: أبو هريرة وغيره.

وقال ابن تيمية: أما الصلاة في النعل ونحوه مثل الجمجم والمداس والزربول وغير ذلك: فلا يكره بل هو مُستحبٌّ؛ لما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان يصلي في نعليه. وفي=

القبلة وحكمتها:

ليست القبلة وجهة الله تعالى، فقد قال تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ سورة البقرة ١١٥، إنما الحضور في مسجد أُسِّسَ على التقوى، ولتوحيده وصلاته، فإذا كنا على بُعْدٍ منه تَوجَّهنا إليه وكنا كالمصلين فيه، وهذا التوجه يكفي لتثبيت القلب ومنعه عن التشتت، ولا حاجة إلى تصوير الرب تعالى، فإن فيه سوء التعظيم، كل شيء عبده ومخلوقه فكيف يُمثَّـلُ به، إنما المصنوع آية دالة على حكمته وقدرته.

ومما مر في الفصل السابق تعلم أن اليهود كانوا يصلون نحو أورشلم أي المسجد السليماني(١٠١)، وهذا النبي اتبع إبراهيم عليه السلام فصلى إلى المسجد الحرام الذي بناه أبواه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهو أَوْلى وأحق، فإنه أول قبلة وأول معبد(١٠٢)،

= السنن عنه أنه قال: إن اليهود لا يصلون في نعالهم فخالفوهم، فأمر بالصلاة في النعال مخالفة لليهود. وإذا علمت طهارتها لم تكره الصلاة فيها باتفاق المسلمين وأما إذا تيقن نجاستها فلا يصلي فيها حتى تطهر. لكن الصحيح أنه إذا دلك النعل بالأرض طَهُرَ بذلك. كما جاءت به السنة سواء كانت النجاسة عذرة أو غير عذرة. فإن أسفل النعل محل تكرر ملاقاة النجاسة له فهو بمنزلة السبيلين فلما كان إزالته عنها بالحجارة ثابتاً بالسنة المتواترة فكذلك هذا. وإذا شك في نجاسة أسفل الخف لم تكره الصلاة فيه ولو تيقن بعد الصلاة أنه كان نجساً فلا إعادة عليه في الصحيح كذلك غيره كالبدن والثياب والأرض. (مجموع الفتاوى ٢٢/ ١٢١-١٢٢).

وقال الشاه ولي الله الدهلوي: «وكان اليهود يكرهون الصلاة في نعالهم وخفافهم لما فيه من ترك التعظيم فإن الناس يخلعون النعال بحضرة الكبراء، وهو قوله تعالى: ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ وكان هنا وجـه آخـر وهو أن الخف والنعل تمام زي الرجـل، فترك النبي ﷺ الـقيـاس الأول، وأيـد الثاني مخالفة لليهود، وهو قوله ﷺ: " خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم وخفافهم « فالصحيح أن الصلاة متنعلاً وحافياً سواء. (حجة الله البالغة ١/ ٣١٩).

(١٠١) وهو قوله: وفي كتاب دانيال (١٠:٦): «فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته وكُواهُ مفتوحة في عِلِّيتِهِ نحو أورشليم، فركع ثلاث مرات في اليوم. (الرائع في أصول الشرائع ص ٥١).

(١٠٢) أخرج البخاري في الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة فـأنـزل الله ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ ﴾ فـتـوجـه نـحـو الـكعبة ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ =

وكانوا في المسجد السليماني يراعون هذه القبلة الإبراهيمية[103]، ونذكر في الفصل الآتي[104].

= ﴿ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ ﴾ فصلى مع النبي ﷺ رجل ثم خرج بعد ما صلى فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه توجه نحو الكعبة فتحرَّفَ القومُ حتى توجهوا نحو الكعبة.

وأخرج البخاري أيضاً في الموضع نفسه عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته حيث توجهت فإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل القبلة.

(١٠٣) يقول الفراهي في (الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح) ص ٥٩: «اعلم أنهم أُمروا من أول أمرهم باتخاذ جانب مكة قبلة لأكبر قرابينهم، وبيان ذلك أنه كان من الواجب في أمر القربان أن يؤتى إلى المعبد أمام الرب، وكان قدس الأقداس يوجه إلى الجنوب ... وكذلك الضحية السنوية التي هي أكبر الأضاحي عندهم توجه إلى الجنوب».

(١٠٤) الرائع في أصول الشرائع ص ٥٢، والفصل الآتي عنوانه: «الكعبة أول قبلة، وكانت قبلة اليهود أيضاً» ثم هناك بياض، وفاته أن يُتِمَّ هذا الفصل.

أوقات الصلاة

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ سورة النساء الآية ١٠٣: ﴿مَّوۡقُوتٗا﴾ واجباً لأوقاتها[١٠٥]، هكذا روي عن قتادة وابن مسعود وزيد بن

---

(١٠٥) أخرج البخاري في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس من طريق مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أَخَّر الصلاة يوماً فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخر الصلاة يوما وهو بالكوفة فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال: ما هذا يا مغيرة؟ أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى فصلى رسول الله ﷺ ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ ثم قال بهذا أمرت فقال عمر لعروة انظر ما تُحَدِّثُ يا عروة أو إن جبريل عليه السلام هو أقام لرسول الله ﷺ وقت الصلاة فقال عروة كذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه قال عروة ولقد حدثتني عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يصل العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر.

وأخرج مسلم في الموضع المذكور عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال وقت الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله ما لم يحضر العصر ووقت العصر ما لم تصفر الشمس ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس فإذا طلعت الشمس فأمسك عن الصلاة فإنها تطلع بين قرني شيطان.

وأخرج مسلم في الموضع المذكور عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ أن رجلاً سأله عن وقت الصلاة فقال له صل معنا هذين يعني اليومين فلما زالت الشمس أمر بلالاً فأذن ثم أمره فأقام الظهر ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية ثم أمره فأقام المغرب حين غابت الشمس ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق ثم أمره فأقام الفجر حين طلع الفجر فلما أن كان اليوم الثاني أمره فأبرد بالظهر فأبرد بها فأنعم أن يبرد بها وصلى العصر والشمس مرتفعة أخرها فوق الذي كان وصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق وصلى العشاء بعدما ذهب ثلث الليل وصلى الفجر فأسفر بها ثم قال أين السائل عن وقت الصلاة فقال الرجل أنا يا رسول الله قال وقت صلاتكم بين ما رأيتم.

وأخرج أبو داود في الصلاة، باب في المواقيت عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ أَمَّني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين فصلى بي الظهر حين زالت الشمس وكانت قدر الشراك، وصلى بي العصر حين كان ظله مثله وصلى بي يعني المغرب حين أفطر الصائم وصلى بي=

أسلم(١٠٦)، ونظم الكلام يدل على أن الوقت من إقامة الصلاة(١٠٧)، ثم الآية ﴿حَٰفِظُواْ

=العشاء حين غاب الشفق وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثله وصلى بي العصر حين كان ظله مثليه وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم وصلى بي العشاء إلى ثلث الليل وصلى بي الفجر فأسفر ثم التفت إلي فقال يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين. وأخرجه الترمذي في الصلاة، باب مواقيت الصلاة.

وقال الإمام الكاساني: «وأما عددها فالخمس، ثبت ذلك بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، أما الكتاب فما تلونا من الآيات التي فيها فرضية خمس صلوات، وقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾البقرة الآية ٢٣٨، إشارة إلى ذلك، لأنه ذكر الصلوات بلفظ الجمع، وعطف الصلاة الوسطى عليها، والمعطوف غير المعطوفُ عليه في الأصل فهذا يقتضي جمعاً يكون له وسطى، والوسطى غير ذلك الجمع، وأقل جمع يكون له وسطى، والوسطى غير ذلك الجمع هو الخمس لأن الأربع والست لا وسطى لهما، وكذا هو شفع إذ الوسط ما له حاشيتان متساويتان ولا يوجد ذلك في الشفع، والثلاث له وسطى لكن الوسطى ليس غير الجمع إذ الاثنان ليسا بجمع صحيح، والسبعة وكل وتر بعدها له وسطى لكنه ليس بأقل الجمع؛ لأن الخمسة أقل من ذلك.

وأما السنة فما روينا من الأحاديث، وروي أن رسول الله ﷺ كما علم الأعرابي الصلوات الخمس فقال: هل عليَّ شيء غير هذا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لا إلا أن تطوع.

والأمة أجمعت على هذا من غير خلاف بينهم؛ ولهذا قال عامة الفقهاء: إن الوتر سنة لما أن كتاب الله، والسنن المتواترة والمشهورة ما أوجبت زيادة على خمس صلوات، فالقول بفرضية الزيادة عليها بأخبار الآحاد يكون قولاً بفرضية صلاة سادسة، وأنه خلاف الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، ولا يلزم هذا أبا حنيفة لأنه لا يقول بفرضية الوتر وإنما يقول بوجوبه، والفرق بين الواجب والفرض كما بين السماء والأرض على ما عرف في موضعه والله أعلم. (بدائع الصنائع ١/ ٤٦٠-٤٦٢).

(١٠٦) أخرج الطبري في تفسير الآية المذكورة عن قتادة في قوله ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾، قال: قال ابن مسعود: إن للصلاة وقتا كوقت الحج. وأخرج أيضاً عن زيد بن أسلم قال: منجماً، كلما مضى نجم، جاء نجم آخر. يقول: كلما مضى وقت جاء وقت آخر.

(١٠٧) أخرج البخاري في مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، ومسلم في الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني.

عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ سورة البقرة الآية ٢٣٨ تدل على أن أركان الصلاة والقنوت والتخشع من محافظة الصلاة، وهكذا آيات من أول سورة «المؤمنون»[١٠٨]، وإذا كان هذا معنى المحافظة فضده يكون معنى الإضاعة، فقوله تعالى ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[١٠٩] معناه: لم يحافظوا على الصلاة، فهدموا من أركانها أو لم يصلوها أصلاً.

ثم اعلم أن الصلاة لأوقاتها فلا تؤخر، فإذا تعذرت قضيت على أصلها، وهو ذكر الله قياماً وقعوداً وعلى الجنوب، فإذا حصلت الطمأنينة أقيمت بصورتها المسنونة، وإلى هذا يشير قوله تعالى ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾سورة البقرة الآية ٣٩، ثم اعلم أن القَصْرَ المذكور في هذه الآية هو قصر الأركان من القيام والركوع والسجود، فإن هذه من أجزاء الصلاة، وأما قصر الركعات فثابت من السنة، كما أن الركعات ثبتت بالسنة[١١٠].

الآيات المشيرة إلى أوقات الصلوات الخمس:

في سورة الروم: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ ١٧-١٨، أي سبحوا بحمد الله، فإن له الحمد في السماوات والأرض، فذكر وقتي المغرب والعشاء في ﴿تُمْسُونَ ﴾، والفجر في ﴿تُصْبِحُونَ ﴾، والعصر في ﴿ وَعَشِيًّا ﴾، والظهر في ﴿تُظْهِرُونَ ﴾.

في سورة الطور: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ ٤٨-٤٩، ﴿حِينَ تَقُومُ ﴾ أي من النوم والاستراحة، فدل على صلوات الفجر والظهر والعصر، فإنهم كانوا يقيلون في الهاجرة كما قال

---

(١٠٨) وهي: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾. (سورة المؤمنون:١-١١).

(١٠٩) وهو قوله تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾(سورة مريم ٥٩).

(١١٠) تعليقات ١/ ٣٣١-٤٣١، وسيأتي بيان معاني القصر في باب قصر الصلاة.

تعالى: ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ﴾ سورة النور ٥٨، فذلك وقت الفجر حين قاموا من النوم في الصبح، ووقت الظهر حين قاموا من بعد القيلولة، ثم يستريحون حتى يبرد النهار فيقومون ويخرجون للعمل، فذاك العصر، ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ ﴾ أي من آناء الليل، فأول الليل المغرب، وقبل النوم وقت العشاء، وأما إدبار النجوم فذاك وقت الوتر.

وفي سورة الدهر: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ سورة الدهر ٢٥-٢٦.

أمر الله النبي بإقامة الصلاة بالجماعة في الأوقات الخمس والتفرد بالتهجد بآيتين:

في سورة بني إسرائيل: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾، ٧٨-٧٩.

في دلوك الشمس أقوال من الصحابة، فقال عبد الله بن مسعود: هو وقت المغرب(١١١)، وأبو برزة: إنه وقت الظهر(١١٢)، وروي عن ابن عباس كلا

(١١١) أخرج الطبري عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه، أنه كان مع عبد الله بن مسعود على سطح حين غربت الشمس، فقرأ ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ حتى فرغ من الآية، ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا لحين دلكت الشمس وأفطر الصائم ووقت الصلاة. وأخرج أيضاً عن عقبة بن عبد الغافر أن عبيدة بن عبد الله كتب إليه أن عبد الله بن مسعود كان إذا غربت الشمس صلى المغرب. ويفطر عندها إن كان صائماً، ويقسم عليها يميناً ما يقسمه على شيء من الصلوات بالله الذي لا إله إلا هو، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة، ويقرأ فيها تفسيرها من كتاب الله ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾، وأخرج أيضاً عن أبي وائل، عن عبد الله قال: هذا دلوك الشمس، وهذا غسق الليل، وأشار إلى المشرق والمغرب، وأخرجه من طرق أخرى.

(١١٢) أخرج الطبري عن أبي برزة الأسلمي، قوله ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾، قال: إذا زالت. وأخرج أيضاً عن سيار بن سلامة الرياحي، قال: أتيت أبا برزة فسأله والدي عن مواقيت صلاة رسول الله ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر إذا زالت الشمس، ثم=

القولين[١١٣]، وقال بعض السلف: هو العصر[١١٤]، وقال بعضهم: هذا يشمل صلاتي الظهر والعصر[١١٥].

ويظهر من هذه الأقوال أن الدلوك يحتمل هذه المعاني كلها، ولكنهم أرادوا جهة

= تلا ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾.

(١١٣) أخرج الطبري عن مجاهد، قال: قال ابن عباس: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾غروبها، وأخرج أيضاً عن الشعبي، عن ابن عباس، قال، في قوله ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ قال: دلوكها: زوالها.

(١١٤) أخرج الطبري عن أبي جعفر﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ قال: صلاة العصر.

(١١٥) قال الطبري: فبين إذن أن معنى قوله جل ثناؤه ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾أن صلاة الظهر والعصر بحدودهما مما أوجب الله عليك فيهما لأنهما الصلاتان اللتان فرضهما الله على نبيه من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل.

وقال الفراهي في تفسير سورة بني إسرائيل: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾: أي إذا زاغت الشمس عن كبد السماء، وهذا قول ابن عمر رضي الله عنهما، وأبي برزة، وقال عبد الله بن مسعود: إذا غربت، وروي عن ابن عباس كلا القولين، وقال بعضهم: هي صلاة العصر (تعليقات ١/ ٣٧٤).

وقال الشاه ولي الله الدهلوي: «لما كانت فائدة الصلاة وهي الخوض في لجة الشهود، والانسلاك في سلك الملائكة لا تحصل إلا بمداومة عليها وملازمة بها وإكثار منها حتى تطرح عنهم أثقالهم، ولا يمكن أن يؤمروا بما يفضي إلى ترك الارتفاقات الضرورية والانسلاخ عن أحكام الطبيعة بالليلة - أوجبت الحكمة الإلهية أن يؤمروا بالمحافظة عليها والتعهد لها بعد كل برهة من الزمان، ليكون انتظارهم للصلاة وتهيؤهم لها قبل أن يفعلوها وبقية لونها وصبابه نورها بعد أن يفعلوها في حكم الصلاة، وتكون أوقات الغفلة مضمونة بطمح بصر إلى ذكر الله وتعلق خاطر بطاعة الله، فيكون حال المسلم كحال حصان مربوط بآخية يستن شرفاً أو شرفين ثم يرجع إلى آخيته ويكون ظلمة الخطايا والغفلة لا تدخل في جذر القلب، وهذا هو الدوام المتيسر عندما امتنع الدوام الحقيقي. ثم لما آل الأمر إلى تعيين أوقات الصلاة لم يكن وقت أحق بها من الساعات الأربع التي تنتشر فيها الروحانية، وتنزل فيها الملائكة، ويعرض فيها على الله أعمالهم، ويستجاب دعاؤهم، وهي كالأمر المسلم عند جمهور أهل التلقي من الملأ الأعلى، لكن وقت نصف الليل لا يمكن تكليف الجمهور به - كما لا يخفى - فكانت أوقات الصلاة في الأصل ثلاثة: الفجر والعشي وغسق الليل، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ وإنما قال: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ لأن صلاة العشي ممتدة إليه حكماً - لعدم وجود الفصل - ولذلك جاز عند الضرورة الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء - فهذا أصل. (حجة الله البالغة ١/ ٣١٧-٣١٨).

واحدة.

وإني أريد أمراً جامعاً، فأقول والله أعلم: إن الصلاة وقتت خلاف أوقات عبدة الشمس والنجوم سنة لإبراهيم عليه السلام حين قال: إني لا أحب الآفلين، فجاء القرآن بما ينبه على هذه الحكمة، كما قال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ سورة الطور ٤٩، فإن صح هذا فقوله تعالى ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ يعني كلما دلكت الشمس، فأول دلوكها من كبد السماء، وهو وقت الظهر، كما فهم أبو برزة، ثم من الجبال والتلول، وهو أول وقت العصر، ثم من سطح الأرض، وهو وقت المغرب، كما قال عبد الله بن مسعود، ثم يكون دلوكها أسفل من هذا حتى لا يبقى لها أثر في الآفاق، وهو بُدُوُّ الغسق، وهذا أول وقت العشاء، فأمر بالصلاة على كل دلكة من الشمس.

وقالوا في ﴿غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾: بدو الليل والمغرب، وقال بعضهم: ظلمة الليل، ومن اختلافهم في معنى الغسق اختلفوا في الصلاة المرادة من هذا الوقت، فقال بعضهم: هو العصر، فإنها تُقامُ من دلوك الشمس إلى بدء الليل، وقال بعضهم: هو المغرب، فإن الدلوك غروب الشمس(١١٦).

أقول: اختلافهم في وجوه الغسق كاختلافهم في وجوه الدلوك، وإني أخذت معنى جامعا للغسق كما أخذت للغسوق، ثم قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ فلم يذكر بعد الدلوك إلا الفجر، فإنه وحده بقي خارجاً عن أوقات الدلكات، وقد بَيَّنَ حكمة هذا الوقت أيضاً كما فسره النبي ﷺ(١١٧).

---

(١١٦) انظر هذه الأقوال في الموضع المذكور من تفسير الطبري، وقال الفراهي في تفسير سورة بني إسرائيل: واختلفوا في معنى الغسق، فمنهم من قال: إنه بدء الليل، ومنهم من قال: إنه ظلمة الليل. (تعليقات ١/ ٣٧٤).

(١١٧) أخرج الطبري في الموضع المذكور عن أبي هريرة رضي الله عن النبي ﷺ في هذه الآية ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار».

وأخرج البخاري في التفسير، باب قوله ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال مجاهد صلاة الفجر عن أبي سلمة وابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح، يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾سورة النجم الآية ١: في السورة التي قبلها ختم الكلام بالتسبيح في آخر الليل(١١٨)، وتم المعنى، ثم ذكر إدبار النجم الخاص، أي هُوِيَّ الثريا في أول الليل، وهذا الفهم يهدي إلى أمر أعمق من ذلك، وهو نزول القرآن بعد التوجه التام إلى الملأ الأعلى والنظر فيه، حتى يصل إلى ما فوقه، كما عرج إبراهيم عليه السلام من النظر في إدبار النجوم إلى معرفة الرب فاجتباه الله تعالى وجعله إمام الأئمة.

وهكذا بعد الاتحاد بالكواكب في التعبد لرب السماوات والأرض بلغ محمد ﷺ مقاماً نزل عليه نور الوحي، فإنه اشتغل بالصلاة وتمسك بها وألح عليها على رغم المانعين وعَصاهم في ذات الله وهم أعزة عليه، فنزل عليه القرآن، وكان النزول في ليلة القدر إذا النجم هوى، أي في أول الليل، لأن النزول كان في ليلة القدر حين تجنح الثريا في أول الليل، فنبه على الصلاة في أول الليل، وأما في آخرها فكان من قبل لإدبار النجوم(١١٩).

ثم اعلم أن الهوي أَعَمُّ من الإدبار، فإن النجم إذا جاوز كبد السماء فقد هوى وأدبر، وإذا سقط في المغرب فقد هوى ولكنه أدبر قبل ذلك، ثم إدبار النجوم لا يدل إلا على ما بعد نصف الليل في جميع أزمنة السنة، وأما هوي النجم (أي الثريا) فمطلقاً يكون من ابتداء الربيع فإنك إذا ترى الثريا من أول الليل مائلة إلى المغرب، واعتبار الهابط يكون بالمساء والطالع بالصبح كما قال الراجز: أيامَ هَمَّ النجم باستقلال

وذلك لأنهم كانوا يعتبرون الأنواء بطلوعها في الصبح وبسقوطها في المساء، ويسمون الساقط رقيباً، فإنه بعد زمان يسر يطلع في الصبح من المشرق، وإنما اعتبروا الرقيب لأجل أن النوء خفي تحت نور الصبح فلا يظهر عند كونه نوءاً فنظروا الساقط الذي سيكون النوء فكانوا يرتقبونه وسموه رقيبا كان ينتظر زمان طلوعه نوءا أو لأنه خلف له، فإن خلف الرجل رقيبه، ولذلك يسمون العبوق رقيب الثريا، وقد أخطأ في هذا الأمر أكثر المصنفين فظنوا أن الرقيب ما يسقط في الصبح، وقد ذكرت العرب سقوط الثريا في أول السحر أيضاً ولكن مع القرائن، وأما على الإطلاق فكما ذكرنا.

---

(١١٨) أي قوله تعالى في سورة الطور الآية ٤٩: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾

(١١٩) تعليقات ٢/ ٢٩٥-٢٩٦.

فمعنى قوله تعالى ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أنه إذا سقط في أول الليل، وهذا يقع في الربيع، وبعد ذلك زمان استقلاله، ويبتدئ سقوط الثريا من آخر الشتاء فيظهر أولاً في الأفق الأعلى ثم يدنو ويتدلى إلى أن يغيب، ثم بعد أيام يظهر من المشرق في الصبح، وهذا في القيظ كما قالت العرب: «إذا طلع النجم فالحر في حدم والعشب في حطم والعانات في كَدَم»(١٢٠)، ثم للسنة ربيعان: الربيع الأول وهو المعتبر على الإطلاق، والربيع الثاني وهو قبل الشتاء، والثريا حينئذ أيضاً تسقط ولكن في الصبح فتجاوز كبد السماء.

وفي سقوط النجم دلالات جمة وشهادات كثيرة كما قال تعالى ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ الواقعة الآيتان ٧٥-٧٦ (١٢١).

معنى العصر:

العصر: الزمان الماضي، آخر النهار، كما قال الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته:

آنستْ نبأة وأفزعها القـ ... ـناص عصراً وقد دنا الإمساء(١٢٢).

معنى العشي:

العشي هو قبل غروب الشمس من حين يضعف نور الشمس ويصفر في بلاد جوها غير صاف. وهو وقت صلاة العصر، وكانوا يصلون فيه من القديم، كما نجد في كتب الأنبياء(١٢٣).

---

(١٢٠) الحدم: اتقاء النار، والحطم: التكسير، والكدم: أثر العضّ، العانة: القطيع من حُمر الوحش.

(١٢١) تعليقات ٢/ ٣٠٥-٣٠٦.

(١٢٢) مفردات القرآن ص ٢٢٣.

(١٢٣) ويؤكده حديث صلاة جبريل بالنبي عليهما السلام، الذي أخرجه أبوداود والترمذي وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمَّني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين، فصلى بي الظهر حين زالت الشمس، وكانت قدر الشراك، وصلى بي العصر حين كان ظله مثله، وصلى بي يعني المغرب حين أفطر الصائم، وصلى بي العشاء حين=

في القرآن: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ (١٨) ﴾.

وأيضاً: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى (أي صلاة العصر) حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾[١٢٤].

الأوقات الخمسة:

فهذه خمسة أوقات الصلاة التي تقام أي تصلى بالجماعة، وقد بقيت ما خص بها النبي ﷺ من نافلة التهجد، فذكرها بعد هذه الصلوات، وذكر أيضاً حكمتها بقوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾، وإذ قد جعل لنا أسوة في نبيه فبقيت صلاة التهجد سنة لنا، كما جاء في الحديث، وباقي تأويل الآية طويل، ليس هذا موضعه.

في سورة طه: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾، ذكر صلاتي الفجر والعصر أولاً لعظمتهما كما جاء في الحديث الصحيح تفسير ذلك[١٢٥]، ثم ذكر حكماً عاماً

= غاب الشفق، وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثله، وصلى بي العصر حين كان ظله مثليه، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلى بي العشاء إلى ثلث الليل، وصلى بي الفجر فأسفر» ثم التفت إلي فقال: يا محمد، هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت ما بين هذين الوقتين.»

وأخرج مسلم عن أبي بصرة الغفاري، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ العصر، فلما انصرف قال: «إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها؛ فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين، ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد». والشاهد النجم: ويؤيد هذا الحديث ما قبله، فالأول يدل على أنهم أعطوا صلاة العصر كما أعطيناها، والثاني ينعى عليهم أنهم ضيعوها ولم يحافظوا عليها.

(١٢٤) مفردات القرآن ص ٢٢١-٢٢٢.

(١٢٥) عن جرير بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر، فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تُضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ (صحيح البخاري، باب فضل صلاة العصر).

لصلاة الليل والنهار.

قوله تعالى: ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾ فعلمنا لهم صلاة عند العشاء [١٢٦]. [١٢٧].

الحكمة في تعيين الأوقات:

إنا نرى في أوقات الصلاة حِكَماً جَمَّة، فمنها أنها تجنبت أوقات عبادة المشركين لدلالتها على عبادة الشمس والكواكب، فصلاة الفجر ذهاب نور الكواكب والقمر، وصلاة الظهر زوال الشمس وانحطاطها، وصلاة العصر سقوطها، وصلاة المغرب أفولها، وصلاة العشاء غيبة آثار الشمس كلية.

فأما المشركون فيصلون عند طلوعها وتوسطها في كبد السماء، وكانت المجوس تقسم اليوم والليل بنصف الليل ونصف النهار، وطلوع الشمس وغروبها، وتزيد في الحر في النهار جزءاً ثالثاً، ويسمونها «كاه»، ويعتقدون أن كل هذه الأجزاء تحت إله.

فأوقات صلاتنا إخبار ببراءة من عبادة الشمس وكل آفل، كما قال إمامنا إبراهيم صلوات الله عليه ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ سورة الأنعام ٧٦، وهكذا جاء في الحديث أن أوقات الطلوع والغروب قبلة الشياطين[١٢٨].

---

(١٢٦) بياض في الأصل.

(١٢٧) الرائع في أصول الشرائع ص ٤٤-٤٧.

(١٢٨) أخرج البخاري في مواقيت الصلاة، باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: لا تَحَرَّوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بقرني شيطان. وفي رواية: إذا بدا حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى تبرز وإذا غاب حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى تغيب.

وأخرج مسلم في صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة عن أبي أمامة قال قال عمرو بن عبسة السلمي كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جُرءاءُ عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت وما نبي؟ قال: أرسلني الله فقلت وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء قلت له فمن معك على هذا قال حر وعبد قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به فقلت إني متبعك قال إنك لا تستطيع ذلك يومك=

وكان إبراهيم عليه السلام من قوم المجوس، فقبلَ الاعتزال عنهم صلى معهم، فكان أول صلاته صلاة المغرب بعد الإعلان بالبراءة، وقد وافقهم بحسب الظاهر، وخالفهم بأخذ أوقات ترد عليهم(١٢٩).

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ سورة النحل الآية ٤٨: المعنى أن الظلال ساجدة، فأينما وقعت رؤوسهم في الصبح فهو قبلتهم، فإذا جعلت تفيء إلى جهة ما فبحسب البلاد، وربما فاءت إلى يمينها، وربما فاءت إلى شمالها، وقد جعلها سجداً معنًى وصورة، أما معنًى فلجريانِ أمره تعالى في كل شيء، وأما صورة فإنها أنكرت السجود إلى جهة الشمس فتتولى

= هذا ألا ترى حالي وحال الناس ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني قال فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت في أهلي فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم عليَّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة فقلت ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة فقالوا الناس إليه سراع وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت يا رسول الله أتعرفني قال نعم أنت الذي لقيتني بمكة قال فقلت بلى فقلت يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عن الصلاة قال صلِّ صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ثم صَلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار قال فقلت يا نبي الله فالوضوء حدثني عنه قال: ما منكم رجل يَقربُ وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خَرَّتْ خطايا وجهه وفيه وخياشيمه ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ فقال له أبو أمامة يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول في مقام واحد يعطى هذا الرجل فقال عمرو: يا أبا أمامة لقد كبرت سني ورق عظمي واقترب أجلي وما بي حاجة أن أكذب على الله ولا على رسول الله لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً حتى عد سبع مرات ما حدثت به أبداً ولكني سمعته أكثر من ذلك.

(١٢٩) الرائع في أصول الشرائع ص ٤٩-٥٠.

عنها أبداً، فهذا من أحسن الآيات لمن اعتبر من الظاهر إلى الباطن، وقد بينا أن أوقات صلاتنا اتخذت إعلاناً لإنكار عبادة الشمس والكواكب، وكان إبراهيم عليه السلام إمامنا حين قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي﴾ الآية[١٣٠].

سنة الأنبياء السابقين توافق مواقيتنا:

هكذا أوقات صلاة النبيين السابقين، في الزبور (١٧:٥٥): «مساء وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتي»، وفي كتاب دانيال (٦:١٠): «فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته وكُواهُ مفتوحة في عليته نحو أورشليم، فركع ثلاث مرات في اليوم، وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك». فهذه ثلاث صلوات النهار مصرحة في ذكر دانيال.

وأما قول داود عليه السلام فمجمل يشمل صلاة الليل والنهار، فالمساء يشمل آخر النهار وأول الليل، والصباح يشمل آخر الليل وأول النهار، ومنتصف النهار مصرح به، وأما نصف الليل فذكر في الزبور (١١٩:٦٢): «في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك»، فعلم أن للصلاة أوقاتا معلومة: طرفي النهار والليل ومنتصفهما.

وهكذا جاء في الأعمال (١٦:٢٥): «ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله، والمسجونون يسمعونهما». وجاء في الزبور (١١٩:١٦٤): «سبع مرات في اليوم سبحانك على أحكام عدلك»، اليوم نهار وليل، وأراد بسبع مرات صلوات الليل والنهار، وهي سبع مع الإشراق، فإنها صلاة مأثورة عن إبراهيم عليه السلام، وكان النبي ﷺ يصليها[١٣١].

---

(١٣٠) تعليقات ١/ ٣٥٠.

(١٣١) الرائع في أصول الشرائع ص ٥١-٥٢.

الباب الخامس

صفة الصلاة

أما الصلاة فلا يخفى أنها قول وإقرار، وجميع أوضاعها من القيام والقعود، والركوع والسجود، ورفع اليدين والأصبع أقوال بلسان الأوضاع[١٣٢]، فهي أول خطوة بعد الإيمان، وبها يُفتحُ باب الأعمال، ولذلك قدمت على جميع الشرائع، كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ سورة البقرة الآية ٣، وبسطناه في سورة الفاتحة.

وقد بين الله ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام حيث ذكر أنه لما عرف ربه بالتوحيد قال: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ سورة الأنعام الآية ٨٠، والصلاة تحقيق هذا التوجه، ألا ترى أنك تفتح صلاتك بهذا القول.

وكذلك ترى في قصة موسى عليه السلام كيف أمره الله تعالى بعدما أعطاه

---

(١٣٢) قال الشاه ولي الله الدهلوي: «اعلم أن أصل الصلاة ثلاثة أشياء: أن يخضع لله تعالى بقلبه، ويذكر الله بلسانه، ويعظمه غاية التعظيم بجسده، فهذه الثلاثة أجمع الأمم على أنها من الصلاة، وإن اختلفوا فيما سوى ذلك، وقد رخص النبي ﷺ عند الأعذار في غير هذه الثلاثة، ولم يرخص فيها». (حجة الله البالغة ٢/ ٦).

وقال الدهلوي أيضاً: «أما الصلاة فهي المعجون المركب من الفكر المصروف تلقاء عظمة الله بالقصد الثاني، والالتفات التبعي المتأتي من كل واحد، ولا حجر لصاحب استعداد الخوض في لجة الشهود أن يخوض، بل ذلك منبه له أتم تنبيه، ومن الأدعية المبينة إخلاص عمله لله وتوجيه وجهه تلقاء الله وقصر الاستعانة في الله، ومن أفعال تعظيمية كالسجود والركوع يصير كل واحد عضد الآخر ومكمله والمنبه عليه، فصارت نافعة لعامة الناس وخاصتهم، ترياقاً قوي الأثر ليكون لكل إنسان منه ما استوجبه أصل استعداده، والصلاة معراج المؤمن معدة للتجليات الأخروية، وهو قوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم فإذا استطعتم ألا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»، وسبب عظيم لمحبة الله ورحمته، وهو قوله ﷺ: «أَعِنِّي على نفسك بكثرة السجود»، وحكايته تعالى عن أهل النار ﴿ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾، وإذا تمكنت من العبد اضمحل في نور الله، وكفرت عنه خطاياه.» (حجة الله البالغة ١/ ١٣٨).

معرفة التوحيد، حيث جاء ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة طه الآيات ١١-١٤.

ومثل ذلك قال تعالى بعد إبطال الشرك: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ سورة الروم الآيتام ٣٠-٣١.

فالصلاة فطرة المخلوقات كلها، ولذلك قال تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ سورة الإسراء الآية ٤٤.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ سورة النور الآية ٤١، فالصلاة من جميع الأعمال أَمَسُّ بالإيمان، وأول فيض منه، وكلها جماع التوحيد والإنابة والشكر والتوكل والتبتل إلى الرب، وأنها فطرة لجميع الخلق(١٣٣).

---

(١٣٣) تفسير نظام القرآن (سورة الكوثر) ص ٥٠٦-٥٠٧.

الثناء والقراءة

الثناء[١٣٤]:

أرى أن الـثناء في ابتداء الصلاة مطابق للثناء في سورة الفاتحة، فإن الثناء أربع

---

(١٣٤) قال الحافظ ابن قيم الجوزية: «وكان يستفتح تارة بـ «اللهم بَاعِدْ بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد، اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس».

«وتارة يقول: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعها، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئ الأخلاق لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله بيديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»، ولكن المحفوظ أن هذا الاستفتاح إنما كان يقوله في قيام الليل.»

«وتارة يقول: «اللهم رَبَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.»

«وتارة يقول: «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن . . . الحديث». وسيأتي في بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كبر ثم قال ذلك.»

«وتارة يقول: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الحمد لله كثيراً، الحمد لله كثيراً، الحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلا، سبحان الله بكرة وأصيلا، سبحان الله بكرة وأصيلا، اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه.»

«وتارة يقول: «الله أكبر، عشر مرات، ثم يسبح عشر مرات، ثم يحمد عشراً، ثم يُهلِّل عشراً، ثم يستغفر عشراً، ثم يقول: اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني، عشراً، ثم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة، عشراً.»

«فكل هذه الأنواع صحت عنه ﷺ.»

«وروي عنه أنه كان يستفتح بسبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ذكر ذلك أهل السنن من حديث علي بن علي الرفاعي، عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد على أنه ربما أرسل. وقد روي مثله من حديث عائشة رضي الله عنها، والأحاديث التي قبله أثبت منه، ولكن صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يستفتح به في مقام النبي ﷺ=

كلمات:

١ - سبحانك اللهم وبحمدك.

٢ - وتبارك اسمك.

٣ - وتعالى جدك.

٤ - ولا إله غيرك.

فالأولى تضاهي قوله تعالى: الحمد لله رب العالمين. الفاتحة ١.

= ويجهر به ويعلمه الناس، وقال الإمام أحمد: أما أنا فأذهب إلى ما روي عن عمر، ولو أن رجلاً استفتح ببعض ما روي عن النبي ﷺ من الاستفتاح كان حسناً.»

«وإنما اختار الإمام أحمد هذا لعشرة أوجه قد ذكرتها في مواضع أخرى، منها: جهر عمر به يعلمه الصحابة، ومنها: اشتماله على أفضل الكلام بعد القرآن، فإن أفضل الكلام بعد القرآن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقد تضمنها هذا الاستفتاح مع تكبيرة الإحرام، ومنها: أنه استفتاح أخلص للثناء على الله، وغيره متضمن للدعاء، والثناء أفضل من الدعاء، ولهذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، لأنها أخلصت لوصف الرحمن تبارك وتعالى والثناء عليه، ولهذا كان «سبحان الله و الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر "أفضل الكلام بعد القرآن، فيلزم أن ما تضمنها من الاستفتاحات أفضل من غيره من الاستفتاحات، ومنها: أن غيره من الاستفتاحات عامتها إنما هي في قيام الليل في النافلة، وهذا كان عمر يفعله ويعلمه الناس في الفرض، ومنها: أن هذا الاستفتاح إنشاء للثناء على الرب تعالى متضمن للإخبار عن صفات كماله ونعوت جلاله، والاستفتاح بـ" وجهت وجهي "إخبارٌ عن عبودية العبد، وبينهما من الفرق ما بينهما، ومنها: أن من اختار الاستفتاح بـ" وجهت وجهي "لا يكمله، وإنما يأخذ بقطعة من الحديث ويذر باقيه، بخلاف الاستفتاح بـ«سبحانك اللهم وبحمدك»، فإن من ذهب إليه يقوله كله إلى آخره.» (زاد المعاد في هدي النبي ﷺ في الصلاة، وهذا الكتاب هو مصدر الفراهي الرئيسي لمعرفة سنن النبي ﷺ).

وقال الإمام ابن تيمية: «أفضل أنواع الاستفتاح ما كان ثناء محضاً مثل: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، وقوله: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا، ولكن ذاك فيه من الثناء ما ليس في هذا، فإنه تضمن ذكر" الباقيات الصالحات "التي هي أفضل الكلام بعد القرآن، وتضمن قوله: «تبارك اسمك وتعالى جدك.» وهما من القرآن أيضاً. ولهذا كان أكثر السلف يستفتحون به، وكان عمر بن الخطاب يجهر به يعلمه الناس. (مجموع الفتاوى ٢٢/ ٣٩٤).

والثانية هي تفسير قوله تعالى: الرحمن الرحيم. الفاتحة ٢، فإن البركة كثرة الخير، واسمه الرحمن أصل الخلقة، والرحيم أصل المغفرة والعاقبة الحسنى، فكل بركة من رحمته.

والثالثة بيان لمفهوم قوله تعالى: مالك يوم الدين. الفاتحة ٣، فإن العبد إذا قال ذلك قال الرب تعالى: مجدني عبدي، وذلك أن العبد إذا قال ذلك فقد فوض أمر يوم الدين إلى رحمته، ورجا أن الرب تعالى أكبر وأكرم من أن يحاسب أعماله، بل يرحم ويصفح عن ذنوبه، فإنه أكرم الكرماء وأرحم الراحمين.

وأما الرابعة فظاهر المطابقة لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.الفاتحة ٤ (١٣٥).

سورة الفاتحة(١٣٦):

إن هذه السورة لكونها أصل الصلاة(١٣٧) إذا قدمت على سائر القرآن العظيم

---

(١٣٥) الرائع في أصول الشرائع ص ٣٧-٣٨.

(١٣٦) قال الشاه ولي الله الدهلوي: «وأما ذكر الله فلا بد من توقيته أيضاً، فإن التوقيت أجمع لشملهم، أطوع لقلوبهم، وأبعد من أن يذهب كل أحد إلى ما يقتضيه رأيه حسناً كان أو قبيحاً، وإنما تفوض إليهم الأدعية النافلة التي يخاطب بمثلها السابقون على أنهم أيضاً لم يتركها النبي ﷺ بغير توقيت ولو استحباباً.»

«وإذا تعين التوقيت فلا أحق من الفاتحة، لأنها دعاء جامع أنزله الله تعالى على ألسنة عباده، يعلمهم كيف يحمدون الله، ويثنون عليه، ويقرون له بتوحيد العبادة والاستعانة، وكيف يسألونه الطريقة الجامعة لأنواع الخير، ويتعوذون به من طريقة المغضوب عليهم والضالين، وأحسن الدعاء أجمعه».

«ولما كان تعظيم القران وتلاوته واجباً في الملة، ولا شيء من التعظيم مثل أن يُنَوَّه به في أعظم أركان الإسلام وأم القربات وأشهر شعائر الدين، وكانت تلاوته قربة كاملة تكمل الصلاة وتُتِمُّها - شرع لهم قراءة سورة من القرآن لأن السورة كلام تام تحدى به النبي ﷺ ببلاغته المنكرين للنبوة، ولأنها منفرزة بمبدئها ومنتهاها، ولكل واحد منها أسلوب أنيق وإذا قد ورد من الشارع قراءة بعض السورة في بعض الأحيان جعلوا في معناها ثلاث آيات قصار أو آية طويلة.» (حجة الله البالغة ٢/ ٩).

(١٣٧) أخرج البخاري في الأذان، باب وجوب القراءة، ومسلم في الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب. =

استنبطنا من موضعها أن الصلاة أول الأحكام، وأن تارك الصلاة نابذٌ للدين، ولما كان هذا الاستنباط بطريق الإشارة نظرنا في أحكام القرآن والسنة فوجدناه موافقا لهما، فصحت هذه الإشارة عندنا، وعظمت لدينا منزلة الصلاة بأن الله تعالى جعلها فاتحة عهده بنا.

وقد ذكرنا في تفسير سورة البقرة تحت آية ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ سورة البقرة الآية ١٥٢ أن عهد الرب بهذه الأمة إقامة الصلاة، فمتى تَمَسَّكنا بها تمسكنا بحبل الله، وعروته الوثقى فينصرنا على أعدائنا، ويحفظنا من أعدى عدونا الذي بين جنبينا كما وعد بنا كثيراً في كتابه، وصرح بهذا الحفظ حيث قال عز من قائل ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ سورة العنكبوت الآية ٤٥، وأخبرنا عن غواية القوم لتركهم الصلاة حيث قال: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ سورة مريم الآية ٥٩. وقد وضعت هذا الآية بعد ذكر الذين أنعم عليهم من النبيين وأتباعهم، فلم يَخْفَ علينا أن ترك الصلاة هو الخروج عن الذين أنعم الله عليهم، وهم حزب الله، ثم في هذه السورة أكد هذا بالدعاء الخاص بأن يسلكنا سبيل هذا الحزب المبارك(١٣٨).

هذه سورة الصلاة بدليل التواتر العملي والقولي (أي كحديث الخداج، وقسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي وغيرهما)، وبها أنا نجد ما يقربها في صلاة علمها عيسى عليه السلام للحواريين، وإن كانت النصارى قد نسوا بعض عبارتها ومدلولها، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا

= وأخرج مسلم في الموضع المذكور عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثاً غير تمام فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام فقال اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فَوَّضَ إليَّ عبدي فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.

(١٣٨) تفسير نظام القرآن (تفسير سورة الفاتحة) ص ٩٠-٩١.

ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾سورة المائدة الآية ١٤ . فلنذكره لتتضح مطابقتهما وبراعة القرآن.

وفي الإنجيل المنحول إلى لوقس:

«قد أنه (عيسى عليه السلام) كان يصلي في مكان، فلما فرغ سأله بعض حوارييه: مولانا علِّمنا الصلاة كما كان يحيى يعلمها أتباعه. وقال لهم إذا صليتم قولوا أبانا الذي في السماء سبحان اسمك ليأتين ملكك ليقعن رضاك في الأرض كما في السماء، أعطنا كل يوم وظيفة خبزنا، واعف عنا فإننا أيضاً نعفو عن كل من عليه حقنا، ولا تهدنا إلى الفتنة، بل أنقذنا من الشر» (إنجيل لوقا ١١: ١-٤).

وفي الإنجيل المنحول إلى متى زيادة بعدها:

«فإن لك الملك، والقوة، والعظمة إلى الأبد، آمين» (إنجيل متى ٦: ١٣)

ولم تكن هذه الجملة في أكثر النسخ من كتاب متى، فلعلهم زادوه جواباً من المقتدين.

وإن تأملت في هذه الآيات تبينت مشابهتها بالفاتحة، قوله: «أبانا الذي في السماء» مبدل، والأصل «ربنا» كما حكى الله قوله في سورة آل عمران، والمائدة، ومريم، والزخرف: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾، وقوله ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ مثل الحمد لله، ولكن ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ في الأصل إجلال، والحمد إجلال وشكر معاً، كما ستعلم.

وقوله: «لتأتين حكومتك ليقعن رضاك في الأرض كما في السماء» دعاء ليوم الدين، و﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ إذعانٌ له وتوكل عليه، وتجنب الدعاء لِعِظَم الأمر، كما في سورة الشورى ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾(الآية ١٨).

وقد ساغ الدعاء لعيسى عليه السلام، لأنه كان ﷺ يبشر ويدعو لحكومة إلهية تأتي بعده، وكان ذلك شاملا لبعثة نبينا ﷺ، فأنزل الله كل ما ادخر لعباده من الشريعة الفاضلة، وكم من آية في الإنجيل تشير إلى أنه أراد بالحكومة الإلهية بعثة نبينا، ونفصلها إن شاء الله تعالى تحت آية ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾سورة الصف الآية ٦.

ولكن حين بعثة نبينا لم يبق من الحكومة الإلهية إلا يوم الدين، فما دعا ولكن

توكل ورجا له بعد حمده وذكر ربوبيته ورحمته، كما روي في الحديث المشهور «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي» حتى قال «وإذا قال عبدي ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ يقول الله «فَوَّضَ إليَّ عبدي».

وهذا التفويض حسن، كما كان يفعل عيسى عليه السلام بعد دعائه.

وقوله: «أعطنا كل يوم وظيفة خبزنا» كان كلامه أمثالاً، ومثل الخبز لروح القدس الذي به حياة الأبرار، فقد فسره بنفسه في إثر دعاء الصلاة، كما كان دأبه، فقال: «إن أنتم مع كونكم أشراراً تعلمون إعطاء هبات حسنة لأولادكم فما أكثر عطاء الأب السماوي «ربنا الأعلى» من روح القدس لمن يسألونه» (إنجيل متى ٧: ١١).

وقال عليه السلام: «مكتوب (في كتاب موسى) إن الإنسان لا يعيش بالخبز وحده، بل بكل كلمة من الله» (إنجيل متى ٤: ٤)، أي بأمره وحكمه، فحياتكم في إطاعة شريعته، هذا يشير إلى قول موسى عليه السلام «لكن يعلمكم أن الإنسان لا يعيش بالخبز وحده، بل بكل ما خرج من فم الرب يعيش الإنسان» (التثنية ٨: ٣).

فقوله: «أعطنا وظيفة خبزنا» عبارة عن: آتنا ما به الحياة الأبدية، وهو روح الهداية الذي يهدي إلى صراط مستقيم، كما بين عيسى عليه السلام السبيل إليه في شرح الصلاة، كما ذكره متى فقال: «ادخلوا الباب الضيق فقد توسع الباب وتفسح الطريق الذي يهدي إلى الموت ويكثر داخلوه، وقد ضاق الباب ودَقَّ الطريق الذي يهدي إلى الحياة وقَلَّ من يجده» (إنجيل متى ٧: ١٣-١٤).

فَمَثَّلَ سبيلَ الحياة بصراط دقيق، وهو الصراط المستقيم الذي يهدي العبد إلى الرب، وهو أصل الحياة.

فاعلم أن الحياة هو حب الله بكل سرنا، وهدى الله الذي جاء به النبيون صراط إلى هذه الحياة، ومثل ذلك جاء في القرآن العظيم ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا ﴾ سورة الأنعام الآية ١٢٢.

فجعل الإيمان بإله حياةً واتباع الشريعة سلوكاً بالنور، وهما لا يفترقان، كما قال الله تعالى ﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ سورة آل عمران الآية ١٠١،

وهذا تأويل كلام الإنجيل، يشهد به ما جاء في القرآن في ذكر كلام عيسى عليه السلام عدة مرات حيث حكى الله تعالى قول عيسى عليه السلام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ سورة آل عمران الآية ٥١، يعني عبادة الله وحده، وذلك ينطوي على إطاعة هُداهُ كما نبينه، فكان دعاء عيسى عليه السلام كدعائنا ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ سورة الفاتحة الآية ٥).

وفي قوله: «واعفُ عنا فإننا أيضاً نعفو عن كل من عليه حقنا» يسأل العفو بوسيلة عمل العفو.

وفي قولنا: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ نسأل الاستعانة على عمل كل حسنة، والكف عن كل سيئة، فسلمنا العفو والأجر إلى ربنا، وراعينا الأدب من وجوه، فما قلنا: «أعنا»، وما قلنا: «أعنا لأنا نعبدك مخلصين»، فما ذكرنا الوسيلة إلا كناية، وهو أَنَّا لم نتخذ معبوداً غيرك، ثم جئنا بوسيلتين، فإن قولنا «إياك نستعين» في نفسه وسيلة، فإننا لم نتخذ غيرك مستعاناً، ثم هاتان الوسيلتان من أعظم الوسائل، فإن أعظم الأعمال هو التوحيد، كما قال عيسى عليه السلام حين سأله بعض الكتاب «أي الأحكام أولها» ٥٢، فقال: «استمع يا إسرائيل! الله ربنا إله واحد وأن تحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل روحك وبكل عقلك وبكل قوتك، هذا أول الأحكام» ٥٣، أي كما جاء في صحف موسى، والتوحيد أول تعليم كل نبي، كما يشهد به القرآن، وتجده في سورة هود وغيرها.

وقوله: «ولا تهدنا إلى الفتنة (أي الابتلاء) بل أنقذنا من الشر» يعني: احفظنا عن سوء الابتلاء فتزلَّ قدم بعد ثبوتها، وأخرجنا عن السوء إن وقعنا فيه، أي لا تفتنا، ونَجِّنا، وهذا دعاء حسب حالهم، وقد كثر في الإنجيل الدعاء بالحِفظ عن الابتلاء لضعفهم وكثرة ابتلائهم.

ولكن الابتلاء من سنة الله، فلا بد من الابتلاء، كما قال: ﴿ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ سورة الملك الآية ٢، وقال: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة العنكبوت الآية ٢-٣.

والقرآن أخبرنا عن فتنٍ ابتلى بها النبيين، قال تعالى ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ سورة البقرة الآية ١٢٤.

وابتلى آدم بالشجرة، ونوحاً بابنه، فقال: ﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ سورة هود الآية ٤٦، فعاذ بالله واستغفر لذنبه، وقال تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ ﴾ سورة ص الآية ٢٤.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ سورة ص ٣٤، وابتلاء موسى وهارون عليهما السلام مذكور في كتب اليهود، حتى إنهما ماتا دون «يردن»(*)، فزكاهما الله تعالى في الدنيا، وستعلم ابتلاء عيسى عليه السلام، وابتلى يوسف وأيوب عليهما السلام، واتْلُ شكاية أيوب عليه السلام من كتابه، وابتلى يحيى عليه السلام بقتله، وما لم نعلم نفهم من قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ سورة الملك الآية ٢، وفي آيات كثيرة.

ولكنه عليه السلام لتخشُّعِهِ ووهن أمته يستعيذ من الفتنة، وقد فتن هو أربعين يوماً، بل كان طول عمره في الابتلاء حتى رفعه الله ونجاه، كما أخبرنا القرآن ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ سورة آل عمران الآية ٥.

وقد فتنت أمته كثيراً، وثبت الله المؤمنين والمؤمنات منهم كما أخبرت به سورة البروج، وشهدت به وقائع جمة.

(وكأنه عليه السلام رأى الفتنة فاغرةً لأمته، كما قاساها نفسه، ولكي ينكشف لك هذا الأمر اذكر ما وقع على أمته، وكيف غلبت الفتن عليها حتى لم يبق رجاء إلا في محمد ﷺ المنجي المنتظر).

وأما «نَجِّنا» فقد نجاه الله، ولكن بطريق أحسن مما سأل، ولكنه مع سؤاله كان راضياً بمشيئة الله تعالى التي هي أكبر منفعة، وهكذا ينتفع بالرضى، كأني به عليه السلام وهو ساجد في جبل الزيتون في مقام «جسمين» معتزلاً من حوارييه على مرمى حجر يتضرع قائلاً: «يا رب اصرف عني هذا الكأس إنك على كل شيء قدير، ولكن آثرت رضاك على رضاي فلينزل قضاؤك» ٥٤.

---

* اسم موضع.

وقد أمر حوارييه أن يدعوا معه ولكنهم ناموا، وهو يجيء إليهم، ثم يذهب ويدعو ربه حزيناً، راجياً، خائفاً ٥٥.

وكأني به حين انقطعت عنه كل وسيلة حتى قال: «إلهي إلهي لِمَ خذلتني» ٥٦، وكأني به حين كأس الحمام بلغت شفتيه، فصرفها الله ورفعه، وطهره، ونجاه، ذلك تقدير العزيز العليم.

وكذلك نجى الله المؤمنين من أمته حين آمنوا بنبي أمي بشر به، وسيؤمنون فينجون، فأجاب الله دعاءه في المخلصين من أمته، فدخلوا في الإسلام أفواجاً وسيدخلون، وصرف الإجابة عن الظالمين، كما ترى في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ سورة البقرة الآية ١٢٤، فهذا معنى دعائه عليه السلام: «لا تفتنا ونجنا».

لا يخفى أن هذا الدعاء فرع لدعائه «أعطنا كل يوم وظيفة خبزنا»، فإن الخبز هو روح القدس وروح الهداية، فمن يهده الله تعالى فقد نجاه من السقوط في الفتنة، وأنقذه من الشر الروحاني، فدعا لأصل الهداية، ثم بما فسر أظهر أن لهذه الحياة صراطاً دقيقاً وباباً ضيقاً، فما هو إلا هُداهُ تعالى يجيء به النبيون.

فما جاء بهذا الدعاء إلا اهتماماً بشأن الشريعة، والضلالة المخوفة على أمته، ودأب اليهود الذين افتتنوا بنبوة عيسى عليه السلام كان عثرة في سبيلهم، كما جاء في الإنجيل، وجاء في القرآن ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ سورة المائدة الآية ٧٠-٧١.

فهكذا قولنا «صراط الذين» الآية فرع وموضح لما مر، تنبيهاً على الاهتمام بأمر هدى الله الذي ضلت فيه أمة، وباءت بسخط الله أمة، ولما أن القرآن قولٌ فصلٌ أوضح هذا الأمر كل الإيضاح(١٣٩).

---

(١٣٩) تفسير نظام القرآن (تفسير سورة الفاتحة) ص ١٠٩-١١٥.

السـور التي قرأها النبي ﷺ في الصلوات:

قرأ في العشاء بالتين والزيتون(١٤٠).

ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد قرأها في الصلاة المكتوبة يؤم الناس بها(١٤١).

ذكر البخاري في صلاة العشاء: «فلولا صليت بـ سبح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى» قال ذلك لمعاذ(١٤٢).

قرأ في المغرب بالمُرسلات عـرفاً(١٤٣).

---

(١٤٠) أخرج البخاري في الأذان، باب الجهر في العشاء، ومسلم في الصلاة، باب القراءة في العشاء عن عدي قال: سمعت البراء أن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون.

(١٤١) أخرج أبو داود في الصلاة، باب من رأى التخفيف فيها عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أنه قال: ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة، إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة.

قال ابن القيم: «وكان ﷺ لا يعين سورة في الصلاة بعينها لا يقرأ إلا بها، إلا في الجمعة والعيدين، وأما في سائر الصلوات فقد ذكر أبو داود من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أنه قال: ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة. (زاد المعاد).

(١٤٢) أخرج البخاري في الأذان، باب مَنْ شكا إمامه إذا طَوَّلَ، ومسلم في الصلاة، باب القراءة في العشاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذا يصلي فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء فانطلق الرجل وبلغه أن معاذاً نال منه فأتى النبي ﷺ فشكا إليه معاذاً فقال النبي ﷺ يا معاذ أفتان أنت أو أفاتن ثلاث مرار فلولا صليتَ بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة.

(١٤٣) أخرج البخاري في الأذان، باب القراءة في المغرب، ومسلم في الصلاة، باب القراءة في الصبح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ والمرسلات عرفاً فقالت: يا بني والله لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب.

قرأ في المغرب بالطور(١٤٤).

قرأ في الفجر بالطور(١٤٥).

قرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل(١٤٦).

قرأ في الصبح سورة قد أفلح المؤمنون(١٤٧).

قرأ في الفجر سورة والليل إذا عسعس(١٤٨).

قرأ في الفجر سورة ق(١٤٩).

كان يقرأ في الظهر بـ والليل إذا يغشى، وفي العصر نحو ذلك، وفي الفجر أطول منه(١٥٠).

كان يقرأ في الظهر بسبح اسم ربك الأعلى(١٥١).

---

(١٤٤) أخرج البخاري في الأذان، باب الجهر في المغرب، ومسلم في الصلاة، باب القراءة في الصبح عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور.

(١٤٥) قال البخاري في الأذان: باب القراءة في الفجر وقالت أم سلمة: قرأ النبي ﷺ بالطور.

(١٤٦) أخرج البخاري في الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، ومسلم في الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ﴿ الٓمٓ تَنزِيلُ ﴾، و» ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾.

(١٤٧) أخرج مسلم في الصلاة، باب القراءة في الصبح عن عبدالله بن السائب. قال: صلى لنا النبي ﷺ الصبح بمكة. فاستفتح سورة المؤمنين. حتى جاء ذكر موسى وهارون أخذت النبي ﷺ سعلة. فركع.

(١٤٨) أخرج مسلم في الصلاة، باب القراءة في الصبح عن عمرو بن حريث؛ أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في الفجر ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾.

(١٤٩) أخرج مسلم في الصلاة، باب القراءة في الصبح عن جابر بن سمرة؛ قال: إن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر بـ ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾. وكان صلاته بعد، تخفيفاً.

(١٥٠) أخرج مسلم في الصلاة، باب القراءة في الصبح عن جابر بن سمرة؛ قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الظهر بالليل إذا يغشى، وفي العصر، نحو ذلك، وفي الصبح، أطول من ذلك.

(١٥١) أخرج مسلم في الصلاة، باب القراءة في الصبح عن جابر بن سمرة؛ أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر بـ ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾، وفي الصبح، بأطول من ذلك.

أَمَّ في الفجر بالمعوذتين(١٥٢).

كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة بـ الم السجدة، وهل أتى(١٥٣).

كان ربما يقرأ في الظهر بسورة لقمان، والذاريات(١٥٤).

قرأ بالأعلى، و ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ ﴾ في الظهر(١٥٥).

كان يقرأ في الظهر والعصر بالبروج والطارق ونحوهما(١٥٦).

كان يقرأ في الظهر بالليل إذا يغشى(١٥٧).

كان يقرأ في المغرب بالطور(١٥٨).

---

(١٥٢) أخرج أبو داود في الوتر، باب قي المعوذتين عن عقبة بن عامر قال كنتُ أقود برسول الله ﷺ ناقته في السفر فقال لي يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قرئتا فعلمني قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس قال فلم يرني سررت بهما جداً فلما نزل لصلاة الصبح صلى بهما صلاة الصبح للناس فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة التفت إلي فقال يا عقبة كيف رأيت، وأخرجه النسائي في الافتتاح، باب الفضل في قراءة المعوذتين.

(١٥٣) أخرج البخاري في الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ﴾ و ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾.

(١٥٤) أخرج النسائي في الافتتاح، القراءة في الظهر عن البراء قال: كنا نصلي خلف النبي ﷺ الظهر فنسمع منه الآية بعد الآيات من سورة لقمان والذاريات.

(١٥٥) أخرج النسائي في الافتتاح، القراءة في الظهر عن أنس قال: إني صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الظهر فقرأ لنا بهاتين السورتين في الركعتين بـ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾، و ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾.

(١٥٦) أخرج النسائي في الافتتاح، القراءة في الركعتين الأوليين من صلاة العصر عن جابر بن سمرة أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق، ونحوهما.

(١٥٧) أخرج النسائي في الافتتاح، القراءة في الركعتين الأوليين من صلاة العصر عن جابر بن سمرة قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الظهر ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ وفي العصر نحو ذلك، وفي الصبح بأطول من ذلك.

(١٥٨) أخرج النسائي في الافتتاح، باب القراءة في المغرب بالطور عن جبير بن مطعم،=

قرأ في المغرب بـ حم الدخان(١٥٩)، والأعراف فَرَّقها في ركعتين(١٦٠)، في العشاء قرأ بالتين(١٦١).

قرأ في الركعتين قبل فريضة الفجر وبعد فريضة المغرب بالكافرون والإخلاص(١٦٢).

قرأ بسورتين في ركعة من النظائر، وعَدَّ الراوي عشرين سورة من آل حم(١٦٣).

قرأ البقرة وآل عمران والنساء في ركعة(١٦٤).

=قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور».

(١٥٩) أخرج النسائي في الافتتاح، باب القراءة في المغرب بـ حم الدخان عن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن رسول الله ﷺ قرأ في صلاة المغرب بحم الدخان.

(١٦٠) أخرج النسائي في الافتتاح، باب القراءة في المغرب بـ المص عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قرأ في صلاة المغرب بسورة الأعراف فرقها في ركعتين.

(١٦١) أخرج النسائي في الافتتاح، باب القراءة فيها بالتين والزيتون عن البراء بن عازب قال: «صليت مع رسول الله ﷺ العتمة، فقرأ فيها بالتين والزيتون».

(١٦٢) أخرج مسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وأخرج الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في الركعتين بعد المغرب عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: ما أحصي ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(١٦٣) أخرج البخاري في الأذان، باب الجمع بين السورتين في ركعة عن أبي وائل قال جاء رجل إلى ابن مسعود فقال قرأت المفصل الليلة في ركعة فقال هَذّاً كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في كل ركعة.

(١٦٤) وكان ذلك في صلاة الليل، أخرج مسلم في الصلاة، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، عن حذيفة قال صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحواً من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده ثم قام طويلا قريباً مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريباً من قيامه.

رَدَّدَ آية في الصلاة[١٦٥].

إذا مر بآية عذاب وقف وتعوذ، وإذا مر بآية رحمة وقف ودعا[١٦٦].

فالسور التي قرئت في الفجر: الطور، قد أفلح، والليل إذا عسعس، ق، المعوذتين، ويوم الجمعة الم السجدة، وهل أتى، البقرة، وآل عمران، والنساء في ركعة[١٦٧].

وفي الظهر: والليل إذا يغشى، الأعلى، لقمان، والذاريات، الأعلى وهل أتى، البروج والطارق ونحوهما.

وفي العصر: البروج والطارق ونحوهما.

وفي المغرب: الطور، حم الدخان، ص، والأعراف فرقها في ركعتين، المرسلات.

وفي العشاء: سبح اسم ربك الأعلى، والشمس، والليل إذا يغشى[١٦٨].

---

(١٦٥) أخرج ابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل عن أبي ذر، قال: قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ سورة المائدة آية ١١٨.

(١٦٦) أخرج أبو داود في الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده عن عوف بن مالك الأشجعي قال قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة.

(١٦٧) كذا في الأصل، وهو غير صواب، وإنما كان ذلك في صلاة الليل، وقد مضى تخريجه.

(١٦٨) الرائع في أصول الشرائع ص ٥٤-٥٦.

الأفعال في الصلاة

تكرار القيام والركوع والسجود:

القيام والسجود في الصلاة مرة بعد مرة أيضاً ذكر الخلقة والموت والبعث(١٦٩).

معنى الركوع:

الركوع هو الانحناء إلى القدام، ومنه ركع الشيخ: احْدَوْدَبَ، وأيضاً: تواضع، وأيضاً: سفل فقراً وبؤساً، كما قال: ...

ويكنى به عن الصلاة، كما في العبرانية تطلق "الصلاة" على الانحناء والصلاة.(١٧٠).

الأمر بالركوع:

﴿ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ سورة البقرة الآية ٤٣: الركوع هو الانحناء إلى القدام، ومنه: ركع الشيخ: احدودب، وأيضاً: توضع، وأيضاً سفل فقراً وبؤساً، كما قال (الأضبط بن قريع السعدي):

ولا تهين الفقير علك أن *** تركع يوماً والدهر قد رفعه

ويكنى به عن الصلاة، كما في العبرانية تطلق الصلاة على الانحناء والصلاة(١٧١).

---

(١٦٩) تعليقات ١/ ٤٠٤، أي إن التحول من وضع إلى آخر مثال لخلق الإنسان وموته وبعثه.

وقال الشاه ولي الله الدهلوي وهو ينظر إليها من جهة أخرى: «أما التعظيم بجسده فالأصل فيه ثلاث حالات: القيام بين يديه، والركوع، والسجود، وأحسن التعظيم ما جمع بين الثلاث، وكان التدريج من الأدنى إلى الأعلى أنفع في تنبيه النفس للخضوع من غيره، وكان السجود أعظم التعظيم يظن أنه مقصود بالذات، وأن الباقي طريق إليه، فوجب أن يؤدي حق هذا الشبه وذلك بتكراره.» (حجة الله البالغة ٢/ ٨).

(١٧٠) تعليقات ١/ ٩٦-٩٧.

(١٧١) تفسير نظام القرآن (سورة البقرة) ص ٢١٩.

معنى الركوع مع الراكعين:

وأما الركوع مع الراكعين فيتضمن أمرين:

الأول: هو الأمر بالركوع وقد تركوه (أي تركته بنو إسرائيل)، وزعموا أن لا يجب عليهم، إلا أن يسجدوا مرة واحدة في السنة، وأجازوا في ذلك أن يضع الرجل جبينه على جدار أو عمود قائماً، وهذا يبين كيف سماهم الله تعالى صُلْبَ الرقاب.

والثاني: هو الأمر بالصلاة مع الجماعة، وذلك تنبيه أئمتهم على المساواة بالناس، فإن أول ما يهدم الصلاة ترك الجماعة، فالكبراء أولاً يأنفون عن الاختلاط بعامة الناس فيصلون في بيوتهم وتسقط عزة الصلاة، فلا يجتمع في المسجد إلا الفقراء، وواحد من الكبراء للإمامة، ثم بعد ذلك تقل الجماعة وتنعدم، فالمراد بإقامة الصلاة هو الاجتماع في المساجد، ومن ههنا ترى كيف أمر الله مريم عليها السلام بلزوم الجماعة، حيث قال: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾سورة آل عمران الآية ٤٣، فمعنى ﴿ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾صلوا مع الذين يصلون، والعبارة بالركوع عن الصلاة عامةٌ لا خفاءَ بها، بل الصلاة في العبرانية تُستعمل للركوع والانحناء أيضاً[١٧٢].

تسبيح الركوع والسجود:

مما يدل على كون الصلاة جامعة لأطراف الذكر أنه قد جمع فيها أصول، فمنها أن تسبيح الركوع وتسبيح السجود مع ما فيهما من الموافقة لما في هيئات الركوع والسجود يدلان على سورتين ويذكرانهما، فقولنا «سبحان ربي العظيم» يذكرنا سورة الواقعة، وقولنا «سبحان ربي الأعلى» يذكرنا بسورة الأعلى[١٧٣].

---

(١٧٢) تفسير نظام القرآن (سورة البقرة) ص ٢٣٢.

(١٧٣) الرائع في أصول الشرائع ص ٣٨، أخرج أبو داود في الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه عن عقبة بن عامر، قال: لما نزلت ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴾سورة الواقعة، قال رسول الله ﷺ: اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾سورة الأعلى ١، قال: اجعلوها في سجودكم.»

معنى سبح:

الأصل التمدد على الوجه، ومنه: السباحة للعوم، ومنه: سبح الفرس في جريه، ومنه السعي والتقلب، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾.

وإنما سميت الصلاة سبحة وتسبيحا لما يمتد المصلي على وجهه في السجدة. ومنه قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾. أي قائمون وساجدون[١٧٤].

معنى سبحانك:

سبحانك: ما أعظمك، كما جاء في القرآن كثيراً، مثلاً: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾، ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، فهذا قريب من الإخبار.

وربما يجيء للدعاء، كما قال تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾، وبهذا المعنى يقدم قبل التوبة.

وأيضاً لإنشاء الأمر، كما هو الشائع في المصادر إذ يقدر الأمر قبله، كما قال:

فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع

وكما في القرآن: ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ فربما يجيء ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ بهذا المعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾.

وأيضاً يأتي للإنكار مع الاستعجاب، ومنه قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾. أيضاً: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾.

واختُصَّ بالإضافة إلى الله تعالى، وإضافته مُطَّرد إلا نادراً كما قال أمية بن أبي الصلت:

سبحانه ثم سبحانا يعود له ... وقبلنا سَبَّحَ الجودي والجمد

(١٧٤) تعليقات ١/ ٩٦-٩٧.

وهو أراد الإضافة. وهكذا الأعشى حذف المضاف إليه ولكنه أراد حيث قال:

.... سبحان من علقمة الفاخر[١٧٥].

الذكر بعد السلام:

هذا، ثم الذكر الذي يتبع الصلاة أيضاً مطابق لأذكار الصلاة، فهو متمم لها يرمم به ما ينسى المصلي من التوجه، فيكرر هذه الكلمات، وهو قولنا: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر[١٧٦]. كل ذلك ٣٣ مرة، «ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحـمد وهو على كل شيء قدير» مرة واحدة، وهذا الأخـير يشبه التشهد[١٧٧].

---

(١٧٥) تعليقات ١/ ٩٦-٩٧.

(١٧٦) قال الفراهي: «سبحان الله» هتاف من قلب ملآن معرفةً بعظمته وحكمته ورحمته، فهو حمد وإجلال، وشكر وإقرار مجملاً لكون القلب ملآن، فلم يمكنه النظر في تفصيل ما انطوى عليه، ثم إذا فرغ بعض الفراغ بهذا الهتاف قال: «والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»، ففصَّلَ ما أجمل، فجعل لربه كمال الحمد وتفرده بالكبرياء والعلو والعظمة، ثم إذا فرغ واستراح بهذا الهتاف نظر إلى نفسه، فبدا له ذمتها وفقرها معا، فتوكل على ربه في إيفاء ذمته، فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

«واعلم أن التسبيح في الأصل هو أن تخر ساجداً حامدا، ثم غلب فيه معنى الإجلال الذي كان أصل السجود، واعلم أن قولك «لا حول» الخ فناء عن نفسك وبقاء بربك، ويؤيـد هـذا التأويل نـظم الدعاء الذي تستفتح به الصلاة، ففيه أيضاً ترى بعد التسبيح ما يفصل معانيه من الحمد والإجلال ونفي الشرك.» (حكمة القرآن ص ١٥)

(١٧٧) الرائع في أصول الشرائع ص ٣٨.

أخرج مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر.

وأخرج البخاري في الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه، قال: جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون، قال: ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم=

أعداد الصلاة وركعاتها(١٧٨)

للأعداد لحاظ في كتاب الله ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ البقرة ١٩٦، ﴿مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الأعراف ١٤٢، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الأحقاف ١٥، وترى أحكاماً عشراً في التوراة، ومواعظ عشراً في وعظ لقمان لابنه، وفي عدة مقام كأربعين حكما في البقرة، وصفات الصلحاء في الشورى عشرة، وكذلك في الأحزاب، وكذلك عشرة أحكام في سورة بني إسرائيل، وعشرة أحكام في الأعراف والأنعام.

فتدبر أن الله سمى العشرة كاملة، وجعل الأربعين تماماً وبلوغاً أشد الرجل، ثم ملائكة السعير تسعة عشر فلم يجعلهم كاملاً، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ﴾ المدثر ٣١. فلم يستيقن أهل الكتاب ويزدد إيمانهم وإيمان المؤمنين إن لم يكن يسر ذلك العلم، فيلمح لي من هذا أن الله تعالى جعل الزوج علامة التمام والكمال للمخلوق لكونه ناقصا في نفسه، وأما الوحدة فلا تكون إلا لله الواحد الصمد.

= بين ظهرانيه إلا من عمل مثله، تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، فاختلفنا بيننا، فقال بعضنا: نسبح ثلاثاً وثلاثين ونحمد ثلاثاً وثلاثين ونكبر أربعاً وثلاثين، فرجعت إليه فقال: تقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثاً وثلاثين.

وأخرج البخاري أيضاً في الموضع المذكور، ومسلم في الموضع المذكور عن وراد كاتب المغيرة ابن شعبة قال: أملى علي المغيرة بن شعبة في كتاب إلى معاوية أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

(١٧٨) قال الإمام الكاساني: «وأما عدد ركعات هذه الصلوات فالمصلي لا يخلو إما أن يكون مقيماً وإما أن يكون مسافراً فإن كان مقيماً فعدد ركعاتها سبعة عشر: ركعتان، وأربع، وأربع وثلاث، وأربع، عرفنا ذلك بفعل النبي ﷺ، وقوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وهذا لأنه ليس في كتاب الله عدد ركعات هذه الصلوات، فكانت نصوص الكتاب العزيز مجملة في حق المقدار. ثم زال الإجمال ببيان النبي ﷺ قولاً وفعلاً كما في نصوص الزكاة والعشر والحج وغير ذلك، وإن كان مسافراً فعدد ركعاتها في حقه إحدى عشرة عندنا: ركعتان، وركعتان، وركعتان، وثلاث وركعتان. (بدائع الصنائع ١/ ٤٦٢).

ألا ترى أنه جعل للجنة ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة، وخلق الأرض في يومين وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام، وخلق السماوات في يومين، من كل شيء خلق زوجين وقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ إشارة إلى ما فيه من حكمة أخرى، وجعل عدة الشهور عنده اثني عشر، والحرم منها أربعة، وجع الصلاة خمسا، وتمامها ستا، وأورادها وترا، فعلمت منه أنا لا نقدر على إكمال عبادته، ولذلك أجاز الزيادة فيها، وجعل الركعات زوجاً ...، إن الصلاة بها تتم، وما لنا أن نزيد فيها.

فبالجملة التمس من العدة شيئاً ولا تتركها مهملة وعبثاً، وإن وجدنا أمراً لا نفهمه حولنا إلى الله العليم، فلا يحيط بعلمه أحد.

فالوتر من الصلاة كالمغرب ينبئ بأن بعده صلاة واجبة، لأن صلاة العشاء أشق، وكانوا ينامون عنها، ثم الوتر الذي بعد العشاء يحافظ عليه، لأن به إتمام الركعات، والله أعلم، وعلمه أحكم(١٧٩).

لحاظ العدد(١٨٠):

في القرآن: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ سورة القمر ٤٩، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ

(١٧٩) الرائع في أصول الشرائع ص ٣٩-٤٠.

(١٨٠) قال الشاه ولي الله الدهلوي: «باب أسرار الأعداد والمقادير»: اعلم أن الشرع لم يخص عدداً ولا مقداراً دون نظيره إلا لحكم ومصالح، وإن كان الاعتماد الكلي على الحدس المعتمد على معرفة حال المكلفين وما يليق بهم عند سياستهم، وهذه الحكم والمصالح ترجع إلى أصول:

«الأول أن الوتر عدد مبارك لا يجاوز عنه ما كان فيه كفاية، وهو قوله ﷺ: «إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن»، وسره أنه ما من كثرة إلا مبدؤها وحدة، وأقرب الكثرات من الواحدة ما كان وتراً؛ إذ كل مرتبة من العدد فيها وحدة غير حقيقة بها تصير تلك المرتبة، فالعشرة مثلاً وحدات مجتمعة اعتبرت واحداً لا خمسة وخمسة، وعلى هذا القياس، وتلك الوحدة نموذج الوحدة الحقيقة في تلك المراتب وميراثها منها، وفي الوتر هذه ومثلها معها وهو الوحدة بمعنى عدم الانقسام إلى عددين صحيحين متساويين، فهو أقرب إلى الوحدة من الزوج، وقرب كل موجود من مبدئه يرجع إلى قربه من الحق لأنه مبدأ المبادى، والأتم في الوحدة متخلق بخلق الله.»

«ثم اعلم أن الوتر على مراتب شتى: وتر يشبه الزوج، ويجنحه كالتسعة والخمسة فإنهما بعد إسقاط الواحد ينقسمان إلى زوجين، والتسعة وإن لم تنقسم إلى عددين متساويين فإنها تنقسم إلى ثلاثة متساوية، كما أن الزوج أيضاً على مراتب زوج يشبه الوتر كاثني عشر، فإنه ثلاثة أربعات،=

بِمِقْدَارٍ﴾ سورة الرعد ٨، ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ سورة الرحمن ٥، ﴿وَٱلْقَمَرَ

=وكالستة فإنها ثلاث اثنينات، وإمام الأوتار وأبعدها من مشابهة الزوج الواحد، ووصيه فيها وخليفته ووارثه ثلاثة وسبعة، وما سوى ذلك فإنه من قوم الواحد وأمته.»

«ولذلك اختار النبي ﷺ الواحد والثلاثة والسبعة في كثير من المقادير، وحيث اقتضت الحكمة أن يؤمر بأكثر منها اختار عدداً يحصل من أحدها بالترفع كالواحد يترفع إلى عشرة ومائة وألف وأيضاً إلى أحد عشر، وكالثلاثة تترفع إلى ثلاثين وثلاثة وثلاثين، وثلاثمائة، وكالسبعة إلى سبعين وسبعمائة، فإن الذي يحصل بالترفع كأنه هو بعينه، ولذلك سن النبي ﷺ مائة كلمة بعد كل صلاة، ثم قسمها إلى ثلاثة وثلاثين، ثلاث مرات، وأفضل واحد ليصير الأمر كله وتراً راجعاً إلى الامام أو وصية، وكذلك لكل مقولة من مقولات الجوهر والعرض إمام ووصي كالنقطة إمام، والدائرة والكرة وصياه، وأقرب الأشكال إليه.»

وقال:

«الأصل الثاني في كشف سر ما بَيّنَ في الترغيب والترهيب ونحو ذلك من العدد: واعلم أنه ربما يعرض على النبي ﷺ خصال من البر والاثم، ويكشف عليه فضائل هذه ومثالب تلك، فيخبر عما علمه الله، ويذكر عدد ما علم حالة حينئذ، وليس من قصده الحصر. قال ﷺ: «عُرضت علي أعمال أمتي: حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوىء أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن. وقال: «عرضت على أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي، فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن، أو آية أوتيها رجل، ثم نسيها»، وعلى هذا ينبغي أن يخرج قوله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران ...الحديث. وقوله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى... الحديث. وقوله ﷺ: «أربعون خصلة أعلاهن منحة العنز لا يعمل عبد بخصلة منها رجاء ثوابها أو تصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة. وربما يكشف عليه فضائل عمل أو أبعاض شيء إجمالاً، فيجتهد في إقامة وجه ضبط لها ونصب عدد يحصر فيه ما كثر وقوعه أو عظم شأنه ونحو ذلك، فيخبر بذلك، وعلى هذا ينبغي أن يخرج قوله ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الغذ بسبع وعشرين درجة.» فإن هذا العدد ثلاثة في ثلاثة في ثلاثة.»

«وقد رأى أن منافع الجماعة ترجع إلى ثلاثة أقسام: ما يرجع إلى نفعِ نفسهِ من تهذيبها وظهور الملكية وقهر البهيمية، وما يرجع إلى الناس من شيوع السنة الراشدة فيهم وتنافسهم فيها وتهذيبهم بها واجتماع كلمتهم عليها، وما يرجع إلى الملة المصطفوية من بقائها غضة طرية لم يخالطها التحريف ولا التهاون. وفي الأول ثلاثة: القرب من الله والملأ الأعلى، وكتابة الحسنات لهم، وتكفير الخطيآت عنهم، وفي الثاني ثلاثة: انتظام حيهم ومدينتهم، ونزول البركات عليهم في الدنيا، وشفاعة بعضهم لبعض في الآخرة، وفي الثالث ثلاثة: تمشية إجماع الملأ الأعلى وتمسكهم بحبل الله الممدود، وتعاكس أنوار بعضهم على بعض، وفي كل من هـذه التسعة ثلاثة: رضا الله=

﴿قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ سورة يس ٣٩، قال أبو بكر رضي الله عنه حين

= عنهم، وصلوات الملائكة عليهم، وانخناس الشياطين عنهم.»

«وفي رواية أخرى: بخمس وعشرين، ووجهه أن منافع الجماعة خمس في خمسة: استقامة نفوسهم، وتألف جماعتهم، وقيام ملتهم، وانبساط الملائكة، وانخناس الشياطين عنهم، وفي كل واحد خمسة: رضا الله عنهم، ونزول البركات في الدنيا عليهم، وكتابة الحسنات لهم، وتكفير الخطيآت عنهم، وشفاعة النبي ﷺ والملائكة لهم. وسبب اختلاف الروايات في ذلك اختلاف وجوه الضبط، والله أعلم.»

«وربما يؤتى بالعدد إظهارا لعظم الشيء وكبره، فيخرج العدد مخرج المثل، نظيره ما يقال: محبة فلان في قلبي مثل الجبل، وقَدْرُ فلان يصل إلى عنان السماء، وعلى هذا ينبغي أن يخرج قوله ﷺ: «يُفسَحُ في قبره سبعون ذراعا»، وقوله:" مد البصر»، وقوله: «إن حوضي ما بين الكعبة وبيت المقدس»، وقوله: «حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن»، وفي مثل ذلك ربما يذكر تارة مقدار، وأخرى مقدار آخر، ولا تناقض في ذلك بحسب ما يرجع إلى الغرض.»

«الأصل الثالث: أنه لا ينبغي أن يقدر الشيء إلا بمقدار ظاهر معلوم يستعمله المخاطبون في نظام الحكم، وله مناسبة بمدار الحكم وحكمته، فلا ينبغي أن يقدر الدراهم إلا بالأواق، ولا التمر إلا بالأوساق، ولا ينبغي أن يؤتى بجزء لا يستخرجه إلا المتعمقون في الحساب، كجزء من سبعة عشر، وجزء من تسعة وعشرين، ولذلك ما ذكره الله تعالى في الفرائض إلا كسوراً يسهل تنصيفها وتضعيفها ومعرفة مخارجها.»

«وذلك فضلاًن: أحدهما سدس وثلث وثلثان، وثانيهما ثمن وربع ونصف، وسره أن يظهر فضل ذي الفضل، ونقصان ذي النقصان بادي الرأي، وأن يسهل تخريج المسائل على الأداني والأقاصي، وحيثما وقعت الحاجة إلى مقدار دون المقدار المعتبر أولاً لا تكون النسبة بينهما نسبة الضعف، فلا ينبغي أن يتعدى من الثلثين بين النصف والواحد، ومن الثلث بين الربع والنصف لأن سائر الاجزاء أخفى منهما، وإذا أريد تقدير ما هو كثير في الجملة، فالمناسب أن يقدر بثلاثة، إذا أريد تقدير ما هو أكثر من ذلك، فالمناسب تقديره بعشرة، وإذا كان الشيء قد يكون قليلاً، وقد يكون كثيراً، فالمناسب أن يؤخذ أقل حد وأكثر حد، فينصف بينهما، والمعتبر في باب الزكاة خمس، وعشر، ونصف العشر، وربع العشر؛ لأن زيادة الصدقة تدور على كثرة الريع وقلة المؤنة، وكانت مكاسب جمهور أهل الأقاليم لا تنتظم إلا في أربع مراتب وكان المناسب أن يظهر الفرق بين كل مرتبتين - أصرح ما يكون - وذلك أن تكون الواحدة منها ضعف الآخرى، وسيأتيك تفصيله، وإذا وقعت الحاجة إلى تقدير اليسار مثلاً ينبغي أن ينظر إلى ما يعد في العرف يساراً، ويرى فيه ما هو من أحكام اليسار.»

«وذلك بحسب عادة جمهور المكلفين مشـارقتهم ومغاربتهم عربهم وعجمهم، وبحسب=

شيع جيش أسامة رضي الله عنه:

«يا أيها الناس قِفُوا أُوصيكم بعشر فاحفظوها عني: ١- لا تخونوا، ٢- ولا تغلوا، ٣- ولا تغدروا، ٤- ولا تمثلوا، ٥- ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ٦- ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ٧- ولا تذبحوا شاة ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلة، ٨- وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، ٩- وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، ١٠- وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً» (من الطبري ٣١٠).

عن ابن عباس قال: ما ابتُلِيَ بهذا الدين أحد فقام به كله غير إبراهيم عليه السلام، ابتلي بالإسلام فأتمه فكتب الله له البراءة، فقال: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ سورة النجم ٣٧، فذكر عشراً في البراءة: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة البراءة ١١٢، وعشراً في الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ سورة

= ما هو كالمذهب الطبيعي لهم لولا المانع فإن لم يكن بناء الأمر على عادة الجمهور لتشتت حالهم، فالمعتبر حال العرب الأول الذين نزل القرآن بلغتهم، وتعينت الشريعة في عاداتهم، ولذلك قَدَّرَ الشرعُ الكنز بخمس أواق لأنها تكفي أقل أهل بيت سنة كاملة في أكثر أطراف المعمورة - اللهم إلا في الجدب أو البلاد العظيمة جداً أو أعمالها - وقدر الثلة الصغيرة من الغنم بأربعين، والكبير بمائة وعشرين، وقدر الزرع الكثير بخمسة أوساق لأن أقل البيت زوج وزوجة وثالث إما خادم أو ولد بينهما، وأكثر ما يأكله الإنسان في اليوم والليلة مُدٌّ أو رطل، ويحتاج مع ذلك إلى إدام، وهذا القدر يكفي من ذلك سنة كاملة، وقدر الماء الكثير بقلّتين، ولأنه حد لا ينزل منه المعادن ولا يرتقي إليه الاواني في عادة العرب وقس على ذلك سائر التقديرات والله أعلم». (حجة الله البالغة ١/ ١٧٩-١٨٣).

الأحزاب ٣٥، وعشراً في سورة المؤمنون إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾، وعشراً في ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[181].

عدد الركعات والأذكار

مقدمة في حكمة المقادير والأعداد:

١- بناء المقادير على الأعداد، قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ الرعد ٨، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر ٤٩، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ الحجر ٢١، وقال تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ يونس ٥، وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ الرحمن ٧، وغير ذلك، ولا شك أن الكم المتصل أيضاً لا بد أن ينقسم حتى يرى مقداره بمعيار العدد سواء كان موزونا أو ممسوحا.

٢- الواحد كامل، ومستغن، ومكمل. ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ سورة غافر ١٦، و ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾» سورة الأنبياء ٢٢.

٣- الاثنان قوة ومبدأ الترجيح، فتابع ومتبوع، وبينهما جامع مضمر، وهو جمعهما لغاية لهما، ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ سورة الذاريات ٤٩، أي الغاية والمدبر، وفي الاثنين جانبان، واستواء ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ سورة الشمس ٧.

٤- الثلاثة كمالُ ثانٍ لاشتماله على الوسط، فالواحد أكمل الاثنين، ﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ سورة يس ١٤.

٥- الأربعة كمال ثالث، ﴿ أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ سورة فاطر ١، فهو استواء ثان.

٦- الخمسة تكميل الأربعة، فالخامس إما خادم وتابع، أو وسط وخيرهم، ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ سورة البقرة ٢٣٨، والباقي يأتيك بعضه، وتركنا بعضه

---

(١٨١) الرائع في أصول الشرائع ص ٤٠-٤١.

لتأملك، والآن تأمل إجراء حكمة المقادير في ركعات الصلاة[١٨٢].

أعداد الركعات والصلاة:

الوتر من جهة واحدة، فألحق بفريضة المغرب لئلا يضيع، فإن وقته بالسحر،

---

(١٨٢) الرائع في أصول الشرائع ص ٤١-٤٢، قال الشاه ولي الله الدهلوي: «ولما كان القليل من الصلاة لا يفيد فائدة معتدا بها، والكثير جداً يعسر إقامته اقتضت حكمة الله ألا يشرع لهم أقل من ركعتين، فالركعتان أقل الصلاة، ولذلك قال: «في كل ركعتين التحية.»، وههنا سر دقيق، وهو أن سنة الله تعالى في خلق الأفراد والأشخاص من الحيوان والنبات أن يكون هنالك شقان يضم كل واحد بالآخر، ويجعلان شيئاً واحداً، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾.

«أما الحيوان فشِقَّاهُ معلومان، وربما تعرض الآفة شقاً دون شق كالفالج، أما النبات فالنواة والحبة فيهما شقان، وإذا نبتت الخامة وإنما تنبت ورقتان كل ورقة ميراث أحد شقي النواة والحبة، ثم يتحقق النمو على ذلك النمط، فانتقلت هذه السنة من باب الخلق إلى باب التشريع في حظيرة القدس، لأن التدبير فرع الخلق، وانعكس من هناك في قلب النبي ﷺ.»

«فأصل الصلاة هو ركعة واحدة، ولم يشرع أقل من ركعتين في عامة الصلاة، وضمت كل واحدة بالأخرى وصارتا شيئاً واحداً، قالت عائشة رضي الله عنها: فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر»، وفي رواية: «إلا المغرب فإنها كانت ثلاثاً».

«أقول: الأصل في عدد الركعات أن الواجب الذي لا يسقط بحال إنما هو أحدى عشر ركعة، وذلك لأنه اقتضت حكمة الله ألا يشرع في اليوم والليلة إلا عدداً مباركا متوسطا لا يكون كثيراً جداً، فيعسر إقامته على المكلفين جميعاً، ولا قليلاً جداً، فلا يفيد لهم ما أريد من الصلاة، وقد علمت فيما سبق أن الأحد عشر من بين الأعداد أشبهها بالوتر الحقيقي، ثم لما هاجر النبي ﷺ واستقر الإسلام، وكثر أهله، وتوفرت الرغبات في الطاعة زيدت ست ركعات، وأبقيت صلاة السفر على النمط الأول، وذلك لأن الزيادة لا ينبغي أن تصل إلى مثل الشيء أو أكثره، وكان المناسب أن يجعل نصف الأصل لكن ليس لأحد عشر نصف بغير كسر، فبدا عددان خمسة وستة، وبالخمسة يصير عدد الركعات شفعاً غير وتر، فتعينت الستة.»

«وأما توزيع الركعات على الأعداد فمبني على آثار الأنبياء السابقين على ما يذكر في الأخبار، وأيضاً فالمغرب آخر الصلاة من وجه، لأن العرب يعدون الليالي قبل الأيام، فناسب أن يكون الواحد الوتر للركعات فيها ووقتها ضيق فلا تناسب زيادة ما زيد فيها آخرا، ووقت الفجر وقت نوم وكسل فلم يزد في عدد الركعات، وزاد فيها استحباب طول القراءة لمن أطاقه، وهو قوله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ . والله أعلم. (حجة الله البالغة ٢/ ١٠-١١).

ولم يلحق بالعشاء لئلا يثقل، وبيان ذلك أن العشرة كمال، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ سورة البقرة ١٩٦، وقال تعالى: ﴿ وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ ﴾ سورة الأعراف ١٤٢، وكما حكى عن قول شعيب لموسى عليهما السلام: ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾سور القصص ٢٧، وعلى هذا فجعل ركعات الفرائض عشراً في النهار وعشراً في الليل، وذلك مع ثلاث ركعات الوتر الباقية.

وهكذا ركعات السنن الرواتب مع ست ركعات التهجد، فهذه أربعون، ثم فضلها بعشر حتى تصير خمسين، وذلك بنوافل حسبما يسهل، فمن ذلك الضحى والإشراق وصلاة الأوابين، فمن راعى ذلك فقد حاز بخمسين ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ سورة المعارج ٤، الألف أضعاف العشر، وهي كاملة، فكل عشر من درجات ومعارج.

في صلاة الفجر يخاف طلوع الشمس ويستحب طول القراءة، فجعل عدد ركعاتها اثنين، وجعل التطوع فيه خفيفاً جداً، وكان المغرب بحذاء الفجر، لكونه أول الليل، فجعل صلات ركعتين، وأضاف بهما ركعة من الوتر لما أراد حفظه، وكان الوتر بمنزلة صلاة العصر، فكان أربع ركعات، وذلك لكونه آخر الليل، ولكن لما جعل ركعة منه في المغرب جعله ثلاث ركعات، فيصلي بعد العشاء، ولكن إبقاء على حقيقته ندب إلى أدائه في آخر الليل فإنه هو وقته(١٨٣).

---

(١٨٣) يقول الجامع: الصلوات المفروضة عشر ركعات بالنهار وعشر بالليل، والعشرة كمال في كتاب الله تعالى إذ قال: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾، والمجموعة عشرون ركعة، فأما صلوات النهار فهي ركعتان في الصبح، وأربع ركعات في الظهر، وأربع في العصر، وأما صلوات الليل فهي ثلاث ركعات في المغرب، وأربع في العشاء، وثلاث في الوتر.

وكذلك الصلوات المسنونة عشرون ركعة، ركعتان قبل صلاة الفجر، وأربع ركعات قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وثمان ركعات في التهجد، ولم يَسنَّ النبي ﷺ أكثر من عشرين ركعة في الليل والنهار تأدباً مع فرائض الله تعالى، فإنه أول من لا يتقدم بين يدي ربه، ويا له من أدب رفيع وكمال في التواضع!

وكان النبي ﷺ يجتهد في شهر رمضان ما لا يجتهد في غيره، أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي=

وهكذا كان العشاء بمنزلة الظهر، وإنما قدمه تخفيفا، ولذلك بين بأن وقته

= ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجودَ بالخير من الريح المرسلة»، فزاد النبي ﷺ عشرين ركعة أخرى خاصة لرمضان يتدارس فيها القرآن الكريم، وتبعه في ذلك أصحابه رضي الله عنهم.

ولا يخفى على أحد أن الكمال لله هو توحده وتفرده، ولا يشاركه فيه شيء من خلقه، وأما الخلق فكماله الزوجية، والركعتان زوج، وأضيفت إليهما ركعتان أخريان لكمال الزوجية، وإظهاراً لتشوق المؤمنين وميلهم القوي إلى الاستكثار من نعمة الصلاة، فكانت صلوات الظهر والعصر والعشاء كل واحدة منها أربع ركعات.

وجعلت الفجر ركعتين استجابة لأمر الله تعالى ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾، فكان طول القراءة فيه مندوبا أشد الندب، ولو أن العبد قام للفجر وأطال القراءة وقرب طلوع الشمس خيف عليه أن تكون الركعات الثلاث بعد طلوع الشمس، فإذا كانت الفريضة ركعتين فإنه متى خاف طلوع الشمس وهو في قراءته في الأولى ضم إليها ركعة أخرى وانتهى من الصلاة صائناً إياها من أدائها في الوقت المنهي عنه.

وكانت صلاة المغرب شبيهة بالفجر في أن الفجر ملاصقة لطلوع الشمس والمغرب ملاصقة للغروب، وإذ لم يكن في المغرب خوف من غروب الشمس أضيفت إليها ركعة أخرى، ولم تضف إليها ركعتان حتى لا تشبه الظهر والعصر والعشاء، فأصبحت ثلاث ركعات، ونقص منها طول القراءة ليحصل التشابه بينها وبين الفجر، فطالت الفجر طالت بالقراءة، والمغرب بعدد الركعات، وصلاة الوتر آخر صلاة الليل فجعلت وتراً كما أن المغرب آخر صلاة النهار من وجه، وهي وتر. ثم إن هناك حكمة أخرى، وهي أن الثلاث تنبئ عن النقص، فينتهي النهار بالمغرب وهي وتر، ويستشعر العبد نقصانه في العبادة وأنه لم يعبد ربه كما ينبغي، وكذلك حينما ينتهي في صلاة الليل بالوتر يستشعر هذا النقصان، الأمر الذي يجعل العبد متواضعا وراغبا في الاستكثار من العبادة، ومن ثم قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾، فقسم الصيام وترا، وإن كان المجموع عشرة كاملة.

وروي عن عائشة رضي الله عنها في الصحيح: «فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر» وإنما ذكرت أم المؤمنين رضي الله عنها ما شاهدت، لأن النبي ﷺ كان يصلي في مكة ركعتين ركعتين صلاة الخائف، والصلاة في الخوف مقصورة من عدة نواح كما لا يخفى، فلما هاجر إلى المدينة أتم، وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾.

ولعل قائلاً يقول: إنما يصح قولك في الصلوات المسنونة إنها عشرون ركعة على حديث أم حبيبة رضي الله عنها، ولكنه لا يصح على حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قلت: حديث=

نصف الليل، ولذلك أحب فيه التأخير مع كون الفضيلة في أول الوقت.

وصلوات الليل كلها جهر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴾ سورة المزمل ٦-٧، فأطال ركعتي فريضة الفجر ليكون جهرهما موازناً لجهر الليل كله.

عدد التكبير بركعة واحدة للوتر يبلغ مائة(١٨٤).

= ابن عمر يقتضي النقص، ولا بأس بذلك، فالنبي ﷺ لا يتقدم بين يدي الله، ولكنه قد يتأخر، وعندي سبب آخر في ذلك، وهو أن النبي ﷺ كان يصلي السنة في بيته فضبطتها أزواجه، ولم يضبطها الرجال ضبطهن.

وإن قيل: جعلت التراويح عشرين ركعة، فما تقول في حديث عائشة رضي الله عنها: «ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان، ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً»؟ قلت: حديث عائشة رضي الله عنها يؤكد ما قلت، فالثلاث هي الوتر، والثمان صلاة التهجد، فهذه الثمان مع الصلوات المذكورة في حديث أم حبيبة تجعلها عشرين ركعة، ولم يكن النبي ﷺ يزيد عليها في رمضان وغير رمضان.

والتراويح سنة أخرى مختصة برمضان، وهي غير الرواتب التي كان النبي ﷺ يواظب عليها في رمضان وغيره، ولم يتناول حديث عائشة رضي الله عنها التراويح، ولو أنها أرادت الصلوات كلها لما كان لقول النبي ﷺ «من قام رمضان إيمانا واحتسابا» معنى مع قوله «من صام رمضان»، فكما أن هذا الصيام يختص برمضان، كذلك يختص هذا القيام برمضان، ولو لم تكن هناك صلوات خاصة في رمضان لما قال «من قام رمضان»، وكان النبي ﷺ يزيد في الخير في رمضان، وهذا ما فهمه أصحابه رضي الله عنهم وجروا عليه متبعين إياه ومقتفين أثره، غير مبتدعين ولا محدثين أمراً ليس من هذا الدين.

وإن قيل: وهل يجوز أن ينقص أحد من عشرين ركعة؟ قلت: لا كلام في الجواز، فإنها صلاة مندوبة، وكان النبي ﷺ يحذر أن يشق على أمته، فلا تشقوا على الناس، ودعوهم يصلوا ما تيسر لهم.

وزاد أهل المدينة على العشرين، ولكن لم يجعلوا هذه الزيادة سنة، وإنما فعلوا ذلك حرصاً على مسابقتهم أهل مكة إذ كانوا يطوفون بين كل ترويحتين. فما داموا لم يسنوها فلا بأس، فإنه يجوز للمسلم أن يتنفل بما شاء ما لم يجعله فريضة أو سنة.

(١٨٤) الرائع في أصول الشرائع ص ٤٣-٤٤.

الحكمة في تعيين الركعات:

في اليوم والليلة قسمت الصلاة سواء، فأول النهار الفجر، وأول الليل المغرب، ووسط النهار الظهر، ولكن أُخِّر قليلاً لعلة ذكرت في الحديث[١٨٥]، ووسط الليل العشاء، ولكن قدم تسهيلاً، ولذلك حبب فيه التأخير، وآخر النهار العصر، وآخر الليل التهجد، ولكن خَفَّفها عن الأمة فوزعها بين المغرب والعشاء، فزاد في صلاة المغرب ركعة، وزاد في صلاة العشاء وتراً، لإتمام عشر ركعات الليل لتساوي عدد ركعات النهار، ومن هذا يتضح لك توجيه عدد ركعات المغرب، فلو جعلها أربعاً خرجت عن مشابهتها بصلاة الفجر.

والنهار يبدأ من الإسفار، والليل يبدأ من الغروب، ووَهِمَ البيروني فيما جعل ظلمة السحر كظلمة المساء، والفرق الواضح أن الأول يزداد ضياء والثاني ظلاماً، فالأول أولى بالنهار، والثاني أولى بالليل، فصح أن يبتدئ الصوم من الغلس وينتهي إلى المغرب، وهكذا جاء في الخبر الصحيح[١٨٦].

---

(١٨٥) انظر: حديث إسلام عمرو بن عبسة الآتي.

(١٨٦) الرائع في أصول الشرائع ص ٥٠-٥١.

والخبر الذي أشار إليه هو ما أخرجه مسلم في الصيام، باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إذا أقبل الليل وأدبر النهار وغابت الشمس فقد أفطر الصائم.

الباب السادس

الجماعة والجمعة

صورة للنظم السياسي:

قد ذكرنا في مواضع من وجوه الصلاة، وههنا نذكر وجها خاصا، وهو أن الصلاة صورة للنظم السياسي[١٨٧]، وطرف من الإسلام، وهو الطاعة الكاملة والانقياد، فنجعل إماما نتبعه في كل مسجد، ثم نتخذ إماما للجامع، ثم للعيد، ثم للحج، فانتظم بالإمام الواحد جامع إسلامي ديني، وبعضهم فوق بعض[١٨٨].

صلاة الجماعة نفعها وضررها:

﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾[١٨٩]، ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أي أحسنُ وأنفع لكل من آتاها، و ﴿ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾ لجماعتكم، ثم قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾[١٩٠]، فقدم السر على غير السر، فعلمنا أن الإسرار في الصالحات أحسن لمن أتى بها، ولكن الإعلان يكون حثاً للناس على الاقتداء.

ثم اعلم أن الإعلان أقرب إلى السمعة، وفي بعض الأحوال أَشَتُّ بالقلب، مثلاً في المناجاة والصلاة، ولكنه للناقصين أجلب، فالنتيجة أن صلاة الجماعة ينقص عن المكثر، فلا بد له من صلاة في السر لجبر هذا الكسر، وهي تزيد المُقِلَّ فلا بد له أن

---

(١٨٧) أخرج البخاري في الأذان، باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال أقيموا الصفوف فإني أراكم خلف ظهري، وأخرج البخاري أيضاً في الموضع نفسه عن سالم بن أبي الجعد قال سمعت النعمان بن بشير يقول قال النبي ﷺ لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم.

(١٨٨) الرائع في أصول الشرائع ص ٢١.

(١٨٩) سورة البقرة الآية ٢٧١.

(١٩٠) سورة البقرة الآية ٢٧٤.

يطلب جماعة الذين حالهم أحسن من حاله ليقتبس من أنوارهم[١٩١].

من يُقَدَّمُ للإمامة:

ثم لما كان أثر الإمام أغلب لا بد أن يكون أتقاهم وأحسنهم قراءة[١٩٢]، فالقراءة الحسنة أشد أثراً من التقوى إن كان التفاوت قليلاً، ولكن الفاجر أشد ضرراً من سَيِّء القراءة، وهذه أمور علمتها بالتجربة، وفي الشريعة مثله[١٩٣].

صلاة الجمعة:

قال في تعليقاته على سورة الجمعة: قد عظم شأن الجمعة عندي إذ علمت كيف مهد الله تعالى قبلها من ذكر تسبيح ما في السماوات والأرض وصفاته الحسنى، وفضله على هذه الأمة وخسران اليهود على استخفاف حكم الله، فقد رَغَّبَ ثم رغب ثم رَهَّبَ ثم ذكر أحكام الجمعة، وكانت الجمعة هكذا حين كان شمل المسلمين مجتمعاً برسولهم، فيأمرهم وينهاهم ويذكرهم ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، ويدانيه موضعها في أيام الخلفاء الراشدين، ثم هبط يوما فيوما حتى إنها صارت في يومنا مجمع الناعسين، وما أشبه الخطيب الجاهل بحامل الأسفار المذكورة في القرآن، ولا تسأل عن حال قوم إمامهم بهذا الحال فإلى الله المفزع.[١٩٤]

---

(١٩١) الرائع في أصول الشرائع ص ٥٣.

(١٩٢) أخرج البخاري في الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة عن أبي موسى قال: مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس فعادت فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحبُ يوسف فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي ﷺ.

وأخرج مسلم في المساجد، باب من أحق بالإمامة عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلما ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه.

(١٩٣) الرائع في أصول الشرائع ص ٥٣-٥٤.

(١٩٤) يقول الجامع: ولقد أخلَّ الناسُ بالجمعة من عدة نواح، منها الخطبة، إذ أصبحت جافة=

واعلم أن ذكر الجمعة ههنا بعد سورة الصف وآية تَمَنِّي الموت تشير إلى أنها من

= بل ميتة، دخلت مرة مع أصدقاء لي عرب مسجداً في أوكسفورد لأداء صلاة الجمعة في أول وقتها، فإذا بالإمام على العادة المتبعة في بلاد العجم يعظ الناس بلغته، فسألوني هل نصلي السنة أم نجلس منصتين للخطيب مُصغين إليه؟ قلت: بل صلوا قبل أن تستووا جالسين، فإن صلاة الجمعة عندنا تسودها فوضى واضطراب، لا نظام فيها ولا التئام، يلج بعض الناس ملحفين أن خطبة الجمعة لا تصح إلا باللغة العربية، ولا يحسنها الإمام وجمهور المقتدين، فيسبقونها بكلمات بالأردية والبنغالية والإنكليزية، محتوين بها الوقت كله، معطلي الناس عن صلاة السنة والتطوع، وقراءة القرآن والذكر، فإذا أذن المؤذن الأذان الثاني قام الإمام وقرأ من مجموعة خطب ركيكة اللفظ ساقطة المعنى، صنعت في الهند قبل قرن من الزمان أو أكثر مرصعة مسجعة، يتغنى بها لاحنا غير متبع نحواً ولا إعراباً.

فارتاعوا لهذا الملمح الوجيع وهذا الاستخفاف بحق شعيرة من شعائر الدين، وما لبثنا أن أذن المؤذن وقام الإمام وقرأ الخطبتين، وختم الثانية بالدعاء للسلطان ابن السلطان والخاقان ابن الخاقان خَلَّدَ الله ملكه وسلطانه، فلما قضيت الصلاة سألوني من هذا السلطان الذي دعا له الإمام؟ قلت: هو الخليفة عبد الحميد الثاني سلطان آل عثمان رحمه الله تعالى، قالوا: ما حبس عنهم وفاته؟ وأفظع بتناقضكم وأهلع به، أنتم في أوكسفورد مدينة العلم والثقافة مُوضِعين في جهالة عمياء، مُتنائين عن سنة أولي العلم الزهراء؟

فلما قصصت على أصحابي القصص قالوا: ما المهرب من هذا الهرج والمرج؟ يتكلم المسلمون في باكستان والهند وماليزيا وإندونسيا وتركيا وبلدان إفريقيا وأوربا وأمريكا وغيرها بغير لغة الضاد، فهل تباح لهم الخطبة للجمعة والعيدين بلغاتهم التي يتواصلون بها؟ قلت: وهل يتخاطب الناس في العالم كله ويتحادثون إلا باللغة التي بها يتواصلون وبها يتفاهمون؟ أو ليس يتوخى من الخطبة إلا بلاغ وإعلام، ولا بلاغَ ولا إعلامَ بين المرسل والمرسل إليهم إذا فرق بينهم حاجز الطبيعة واللسان.

قالوا: ألم ينزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، أو لم يرسل سيدنا وحبيبنا خاتم النبيين ﷺ في بني عدنان وذرية يعرب بن قحطان؟ قلت: بلى، وما أنا أقل حرصاً منكم على أن يتقنه المسلمون إتقاناً، ولكن ما داموا غير متقنيه ولا محسنيه كيف يوعظون بما لا يعون ولا يستخلصون؟

قالوا: أو ليست الخطبة قائمة مقام ركعتين فتجب بالعربية كما تجب القراءة في الصلاة بالعربية؟ قلت: تباين أمرهما وتخالف شأنهما، تشترط الطهارة للصلاة وهيئات خاصة والتيميم شطر القبلة، ولا يشترطن للخطبة، وإذا فات المصلي الخطبة لم يؤمر بقضائها.

قالوا: الخطبة ذِكْرٌ، فلا يجب فهم معناها. قلت: الخطبة ذكر، فيجب فهم معناها، وكيف يقع التذكير بحديث لايفهم، أو كلام يبهمهم، ومن ثمة كان بعض فقهاء الحنفية يجيزون لمن بعد عن=

أسباب القيام بالجهاد[١٩٥].

﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾: السعي: المشي مشي الجد والطلب، وذلك إذا كان في عبادة، فالمقصود إظهار العبودية ... فالمشي إلى المسجد ينبغي أن يكون على نهج العبد الذي يحفد على مولاه، وقد دعاه، ولذلك قال تعالى: ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾[١٩٦].

= الإمام ولم يسمع كلامه أن يشتغل بما هو أنفع له، قال الكاساني: عن نصير بن يحيى أنه أجاز له القراءة سرا، وكان الحكم بن زهير من أصحابنا ينظر في كتب الفقه. قال الكاساني: ووجهه أن الاستماع والإنصات إنما وجب عن القرب ليشتركوا في ثمرات الخطبة بالتأمل والتفكر فيها، وهذا لا يتحقق من البعيد عن الإمام، فليحرز لنفسه ثواب قراءة القرآن، ودراسة كتب العلم، ولأن الإنصات لم يكن مقصوداً، بل ليتوصل به إلى الاستماع، فإذا سقط عنه فرض الاستماع سقط عنه الإنصات أيضاً.

قالوا: من ذهب إلى جوازها بغير العربية؟ قلت: قال به علم المجتهدين والذي عليه الناس في الفقه عيال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رحمه الله تعالى، فقد أجازها بالفارسية سواء أحسن الناس العربية أم لم يحسنوها، وأجازها بذكر قليل، حتى لو سَبَّحَ أو هلَّلَ أو حمد الله تعالى على قصد الخطبة أجزأه. فإذا كان هذا القدر من الذكر يكفي في الخطبة فلا معنى لاستنكار الذين يخطبون بلغاتهم الأعجمية، لما يتضمن كلامهم من العربية أكثر من هذا القدر. وقد أفتى ثقات فقهاء عصرنا من المذاهب الأربعة وغيرها بجواز خطبة الجمعة والعيدين بغير اللغة العربية.

قالوا: وهل رآه أحد من الحنفية المعاصرين؟ قلت: رآه جمع كبير منهم عرباً وعجماً، وجرت به العادة في تركيا وعامة بلاد ما وراء النهرين، وحضرت قبل سنين مؤتمراً في تركيا انتدب إليه أكثر من أربعمائة عالم وفقيه، وفيهم سادة علماء الهند وباكستان من ديوبند وغيرها، فصلينا الجمعة في مسجد في إسطنبول والإمام يخطب باللغة التركية غير منكرين للوضع ولا متبرئين منه.

قالوا: فما هي السنة في الخطبة؟ قلت: من سنة النبي ﷺ خطبتان يفصل بينهما بالجلوس، يبلغ في ثناياهما رسالة إلى الناس ونذراً، وكان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم، وينبغي للإمام أن لا يزيد على خطبتين يجعل مقدماتهما بالعربية من الحمد لله تعالى والصلاة على النبي ﷺ وآي من القرآن الكريم، ويعظ المسلمين بلغتهم وعظاً بليغاً غير مفرط فيه ولا مُطنب إطناباً، ويختم الخطبة الثانية بدعوة للمؤمنين والمؤمنات.

(١٩٥) تعليقات ٢/ ٣٥١-٣٥٢.

(١٩٦) تعليقات ٢/ ٣٥٢.

﴿ قَآئِمًاۚ ﴾ أي قبل أن قضيت الصلاة أو الخطبة، واتفقت الروايات أنهم تسللوا والنبي ﷺ في الخطبة[197]، والظاهر أنهم لم يحسبوا الخطبة لازمة، والخطاب إلى رجال معدودة.[198].

---

(١٩٧) أخرج البخاري في الجمعة، باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة فصلاة الإمام ومن بقي جائزة عن سالم بن أبي الجعد قال حدثنا جابر بن عبد الله قال بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ ﴾.

(١٩٨) تعليقات ٢/ ٣٥٢.

قال الشاه ولي الله الدهلوي: «باب أسرار الأوقات: لا تتم سياسة الأمة إلا بتعيين أوقات طاعاتها، والأصل في التعيين الحدس المعتمد على معرفة حال المكلفين واختيار ما لا يشق عليهم، وهو يكفي من المقصود، ومع ذلك ففيه حكم ومصالح يعلمها الراسخون في العلم، وهي ترجع إلى أصول ثلاث:

«أحدها أن الله تعالى وإن كان متعالياً عن الزمان لكن قد تظاهرت الآيات والأحاديث على أنه في بعض الأوقات يتقرب إلى عباده، وفي بعضها تعرض عليه الأعمال، وفي بعضها يقدر الحوادث إلى غيرذلك من الأحوال المتجددة، وإن كان لا يعلم كنه حقيقتها إلا الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر»، وقال: «إن أعمال العباد تعرض يوم الاثنين ويوم الخميس»، وقال في ليلة النصف من شعبان: «إن الله ليطلع فيها "وفي رواية: «ينزل فيها إلى السماء الدنيا « والأحاديث في هذا الباب كثيرة معلومة.»

«وبالجملة فمن ضروريات الدين أن هنالك أوقاتاً يحدث فيها شيء من انتشار الروحانية في الأرض وسريان قوة مثالية فيها، وليس وقتٌ أقربَ لقبول الطاعات واستجابة الدعوات من تلك الأوقات، ففي أدنى سعي حينئذ يتفتح باب عظيم من انقياد البهيمية للملكية، والملأ الأعلى لا يعرفون انتشار تلك الروحانية وسريان تلك القوة بحساب الدورات الفلكية، بل بالذوق والوجدان، وبأن ينطبع شيء في قلوبهم، فيعلموا أن هنالك قضاء نازلاً وانتشاراً للروحانية ونحو ذلك، وهذا هو المعبر عنه في الحديث " بمنزلة سلسلة على صفوان.»

«والأنبياء عليهم السلام تنطبع تلك العلوم في قلوبهم من الملأ الأعلى، فيدركونها بالوجدان دون حساب الدورات الفلكية، ثم يجتهدون في نصب مظنة لتلك الساعة، فيأمرون القوم بالمحافظة عليها.»

فمن تلك الساعات ما يدور بدوران السنين، وذلك بقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾، وفيها تعينت روحانية القرآن في السماء الدنيا، واتفق أنها كانت في رمضان.» =

= «ومنها ما يدور بدوران الأسبوع، وهي ساعة خفيفة ترجى فيها استجابة الدعاء وقبول الطاعات، وإذا انتقل الناس إلى المعاد كانت تلك هي ساعة تَجَلِّي الله عليهم وتقربه منهم، وقد بين النبي ﷺ أن مظنتها يوم الجمعة، استدل على ذلك بأن الحوادث العظيمة وقعت فيه كخلق آدم عليه السلام، وبأن البهائم ربما تتلقى من الملأ السافل علماً بعظم تلك الساعة، فتصير دهشة مرعوبة كالذي هاله صوت عظيم، وأنه شاهد ذلك في يوم الجمعة.»

«ومنها ما يدور بدوران اليوم وتلك روحانية أضعف من الروحانيات الأخرى، وقد أجمعت أذواق من شأنهم التلقي من الملأ الأعلى على أنها أربع ساعات قبيل طلوع الشمس وبعيد استوائها وبعد غروبها وفي نصف الليل إلى السحر، ففي تلك الأوقات وقبلها بقليل وبعدها بقليل تنتشر الروحانية، وتظهر البركة، وليست في الأرض ملة إلا وهي تعلم أن هذه الأوقات أقرب شيء من قبول الطاعات، لكن المجوس كانوا قد حرفوا الدين، فجعلوا يعبدون الشمس من دون الله، فسد النبي ﷺ مدخل التحريف، فغير تلك الأوقات إلى ما ليس ببعيد منها ولا مفوت لأصل الغرض، ولم يفرض عليهم الصلاة في نصف الليل لما في ذلك من الحرج، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه.»، وذلك كل ليلة، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أفضل الصلاة نصف الليل وقليل فاعله»، وسئل أي الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل»، وقال في ساعة الزوال: «إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عملاً صالح». وقال: «ملائكة النهار تصعد إليه قبل ملائكة الليل، ووقال: «ملائكة الليل تصعد إليه قبل ملائكة النهار»، وقد أشار الله تعالى في محكم كتابه إلى هذه المعاني حيث قال: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾، والنصوص في هذا الباب كثيرة معلومة وقد شاهدت منه أمراً عظيماً.»

«الأصل الثاني أن وقت التوجه إلى الله هو وقت كون الإنسان خاليا عن التشويشات الطبيعية، كالجوع المفرط والشبع المفرط، وغلبة النعاس، وظهور الكلال، وكونه حاقباً حاقناً، والخيالية كامتلاء السمع بالأراجيف واللغط، والبصر بالصور المختلفة والألوان المشوشة، ونحو ذلك من أنواع التشويشات، وذلك مختلف باختلاف العادات، لكن الذي يشبه أن يكون كالمذهب الطبيعي لعربهم وعجمهم ومشارقتهم ومغاربتهم، والذي يليق أن يتخذ دستوراً في النواميس الكلية، والذي يعد مخالفة كالشيء النادر - هو الغدوة والدلجة، والإنسان يحتاج إلى مصقلة تزيل عنه الرين بعد تمكنه من نفسه، وذلك إذا أوى إلى فراشه، ومال للنوم؛ ولذلك نهى ﷺ عن السمر بعد العشاء وعن قرض الشعر بعده.»

«وسياسة الأمة لا تتم إلا بأن يؤمر بتعهد النفس بعد كل برهة من الزمان حتى يكون انتظاره=

الباب السابع

قيام الليل(١٩٩)

﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ سورة الذاريات الآية ١٧، الهجوع هو النوم، أي

= للصلاة واستعداده لها من قبل أن يفعلها، وبقية لونها وصبابة نورها بعد أن يفعلها في حكم الصلاة، فيتحقق استيعاب اكثر الأوقات إن لم يكن استيعاب كلها، وقد جربنا أن النائم على عزيمة قيام الليل لا يتغلغل في النوم البهيمي، وأن المتوزع خاطره على ارتفاق دنيوي وعلى محافظة وقت صلاة أو ورد ألا يفوته - لا يتجرد للبهيمية، وهذا سر قوله ﷺ: «من تعار من الليل» الحديث. وقوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾، ويصلح أن يجعل الفصل بين كل وقتين ربع النهار، فإنه يحتوي على ثلاث ساعات، وهي أول حد كثرة للمقدار المستعمل عندهم في تجزئة الليل والنهار عربهم وعجمهم، وفي الخبر" أن أول من جزأ النهار والليل إلى الساعات نوح عليه السلام وتوارث ذلك بنوه".

«الأصل الثالث أن وقت أداء الطاعة هو الوقت الذي يكون مذكراً لنعمة من نعم الله تعالى، مثل يوم عاشوراء نصر الله تعالى فيه موسى عليه السلام على فرعون فصامه، وأمر بصيامه، وكرمضان نزل فيه القرآن، وكان ذلك ابتداء ظهور الملة الإسلامية، أو مذكراً لطاعة أنبياء الله تعالى لربهم، وقبوله إياها منهم كيوم الأضحى يذكر قصة ذبح إسماعيل عليه السلام وفدائه بذبح عظيم، أو يكون أداء الطاعة فيه تنويها ببعض شعائر الدين كيوم الفطر في إيقاع الصلاة، والصدقة فيه تنويه برمضان وأداء شكر ما أنعم الله تعالى من توفيق صيامه، وكيوم الأضحى فيه تشبه بالحاج وتعرض لنفحات الله المعدة لهم، أو تكون جرت سنة الصالحين المشهود لهم بالخير على ألسن الأمم أن يطيعوا الله تعالى فيه، مثل أوقات الصلوات الخمس لقول جبرائيل: «هذا وقتك ووقت الأنبياء من قبلك»، ومثل رمضان على وجه واحد في تفسير قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾، وكصوم يوم عاشوراء بالنسبة إلينا، ويشبه أن يكون الأصل الثالث معتبراً في أكثر الأوقات، والأصلان الأولان أصل الأصل، والله أعلم. (حجة الله البالغة ١/ ١٧٦-١٧٩).

(١٩٩) قال الشاه ولي الله الدهلوي: «ومنها صلاة الليل اعلم أنه لما كان آخر الليل - وقت صفاء الخاطر عن الأشغال المشوشة وجمع القلب. وهدء الصوت ونوم الناس. وابعد من الرياء والسمعة - وأفضل أوقات الطاعة ما كان فيه الفراغ وإقبال الخاطر، وهو قوله ﷺ " وصلوا بالليل والناس نياماً» وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ﴾، وأيضاً فذلك الوقت وقت نزول الرحمة الإلهية، وأقرب ما يكون الرب إلى العبد فيه،=

يشتغلون في الليل بالصلاة والذكر، كما قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ سورة السجدة الآية ١٦، وكما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ ﴾ سورة المزمل الآيتان ١-٢، والجملة لم تُعطف لأنها بيان لما ذكر من كونهم محسنين، وفي تأليف الجملة وجوه كلها راجعة إلى معنى واحد، أي إنهم كانوا قليلاً هجوعهم، أو ما يهجعون فيه من الليل، أو كانوا يهجعون قليلاً من الليل، وأما كانوا قليلين وإنهم لا يهجعون من الليل، كما ذكره الرازي، فبعيد جداً.

﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ سورة الذاريات الآية ١٨، السحر قبيل الإسفار، وهو أولى الأوقات بالاستغفار كما جاء في وصف المتقين ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ سورة آل عمران الآية ١٧، وجاء تصريح ذلك في صحيح الخبر[٢٠٠].

﴿ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ سورة الطور الآية ٤٩: أي في آخر الليل، إدبار النجوم أُفولها، والتسبيح حينئذ على سنة إبراهيم عليه السلام وإظهاراً لأنها ليست بآلهة، كما ذكر في سورة النجم، في إدبار النجوم وانشقاق القمر دلالة على الساعة وإطاعة السماء والأرض لأمر ربهما[٢٠١].

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ سورة النجم الآية ١: ثم اعلم أن المراد بهوي النجم سقوطه في المغرب، كما قال: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ الواقعة الآية ٧٥، أي بمساقطها في المغرب.

ثم اعلم أن القسم في القرآن بهذه الأشياء ليس إلا من جهة أنها من الآيات

= وقد ذكرناه من قبل، وأيضاً فللسهر خاصية عجيبة في إضعاف البهيمية، وهو بمنزلة الترياق، ولذلك جرت عادة طوائف الناس أنهم إذا أرادوا تسخير السباع وتعليمها الصيد لم يستطيعوه إلا من قبل السهر والجوع، وهو قوله ﷺ: «إن هذا السهر جهد وثقل...» الحديث، كانت العناية بصلاة التهجد أكثر فبين النبي ﷺ فضائلها، وضبط آدابها وأذكارها. (حجة الله البالغة ٢/ ٢٥).

(٢٠٠) تفسير نظام القرآن (سورة الذاريات) ص ١٣١.

(٢٠١) تعليقات ٢/ ٢٩٤.

الدالة كما بيناه في كتاب أقسام القرآن.

ثم اعلم أن العرب كانت تذكر مواقع النجوم كناية عن الأوقات كما ستعلم فيما نورد من كلامهم، وكما قال تعالى ﴿ وَإِدْبَرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ فكنى به عن نصف الليل إلى السحر، فإن المراد به إدبار النجوم التي رآها الناظر في أول الليل، فإذا هب متهجداً رآهن قد أدبرن وهذا إلى الصبح، فهو يصلي والنجوم راكعة ساجدة معه، فيرى الخلقة عابدة والأرض ساكنة هامدة، فيكبر للحيِّ القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وكان النبي ﷺ ربما يقرأ عند هبوبه في الليل ما يدل على هذه المعاني[٢٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ سورة المزمل الآيتان ١-٢: المزمل والمدثر توأمان في حث النبي على التشمير، ودعوة الناس، والصبر والصلاة، والرجاء من القرآن الذي يهدي الله به من يشاء.

﴿ ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ أول أمر النبي ﷺ كان فكراً وذكراً حتى أمره الله بالتشمير والجد، فأمره أولاً بالقيام في الليل بعد ما هجع الناس إلى الصبح، فهذا هو النصف أو قريباً منه، لأن ناشئة الليل أي مؤخره (كقولك قائمة الظهير) أثبت للقدم خلاف النهار، فإن فيه تقلباً وانزعاجاً، وأمره بالصبر على أقوال المكذبين والتوكل على الله تعالى.[٢٠٣].

ركعات قيام الليل:

وعلى هذا فجعل ركعات الفرائض عشراً في النهار وعشراً في الليل، وذلك مع ثلاث ركعات الوتر الباقية[٢٠٤]... وهكذا ركعات السنن الرواتب مع ست

(٢٠٢) تعليقات ٢/ ٣٠٥.

(٢٠٣) تعليقات ٢/ ٣٩٣.

(٢٠٤) يقول الجامع: الوتر من قيام الليل، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (سورة الإسراء ٧٩)، و ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ (سورة المزمل الآية ١)، وجعلها في آخر الليل، وهي أقل ما يجب على المسلم أن يقوم من الليل، وجعلها وترا كما أن المغرب وتر، ليتساوى طرفاً الليل، ورخص في أدائها في أول الليل تيسيرا على الضعفاء من المسلمين.

والوتر حق، وقد عبر عنه الإمام أبو حنيفة بالواجب، وبعض أصحاب النبي ﷺ بالحق، وسائر العلماء بالسنة، لأنهم علموه بالسنة، ولكنهم أكدوا عليه ما لم يؤكدوا على غيره، ورأوا قضاءه على من فاته. والدليل على حقيته الآيتان السابقتان، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ =

= ﴿ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ (سورة الطور الآية ٤٩)، وأخرج أبو داود وغيره عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الوتر حق، فمن لم يوتر فليس منا، الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا، الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا، وروي مثله عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه في المستدرك وغيره بأسانيد مختلفة، وكان أصحاب النبي ﷺ يقضون الوتر ويأمرون بقضائه، وذلك دليل الوجوب، وأخرج الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: من نام عن وتره أو نسيه فليصله إذا أصبح أو ذكره، وصححه الحاكم والذهبي، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن جمع من الصحابة والتابعين وجوب الوتر.

واقتصر النبي ﷺ على الصلوات الخمس دون الوتر في أحاديث كثيرة صحيحة لأن الوتر من قيام الليل، وقد يَشقُّ على كثير من الناس النهوض له والانتباه من النوم، فخففه ظاهر التخفيف رحمة بهم، ومن ثم عبر العلماء عنها بالحق أو الواجب أو السنة.

ومثل هذا الإشكال وارد على غيرها، فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أن صلاة العيدين فرض عين، وذهب بعضهم إلى أنها فرض كفاية، وذهب آخرون إلى أنها واجب أو سنة، وذهب جماعة إلى فرضية صدقة الفطر، وذهب جماعة إلى فرضية العمرة، فكما أن صلاة العيدين ليست زيادة على الصلوات الخمس، وصدقة الفطر ليست زيادة على الزكاة، والعمرة ليست زيادة على الحج، كذلك وجوب الوتر ليس زيادة على الصلوات الخمس.

والوتر ثلاث ركعات، كان النبي ﷺ يقوم الليل فيصلي ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم يركع ركعة توتر له ما صلى، أي كان يصلي ثمان ركعات، ثم ثلاث ركعات بقعدتين وترا، أخرج الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة»، فكانت ثمان ركعات من التهجد، وثلاث ركعات من الوتر، وهن كلهن من قيام الليل.

ومن الناس من روى ثلاث عشرة ركعة مضيفا ركعتي الفجر إليهن، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، منها الوتر وركعتا الفجر، وقال القاسم في حديثه: «ورأينا أناساً منذ أدركنا يوترون بثلاث» (صحيح البخاري، أبواب الوتر، باب ما جاء في الوتر)، وأخرج أبو داود والنسائي وغيرهما عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الركعة الأولى من الوتر سبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية قل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة قل هو الله أحد، وأخرج ابن أبي شيبة الإيتار بثلاث ركعات عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وعلي بن أبي طالب، وأبي أمامة، وجابر بن زيد، وعلقمة، وسعيد بن جبير، ومكحول، وأبي العالية رضي الله عنهم.

ركعات التهجد(٢٠٥)، فهذه أربعون(٢٠٦).

---

(٢٠٥) يقول الجامع: التهجد من قيام الليل، وقيام الليل يشمل التهجد، والوتر، والتراويح، وسائر النوافل التي تؤدى بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر. وذكر المؤلف أن التهجد ست ركعات، واختلفت الروايات في ذلك، وأرى أن التهجد ثمان ركعات، وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها الذي أخرجه الشيخان وغيرهما بأسانيد كثيرة صحيحة ثابتة: «ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان، ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً»؟ فالثلاث هي الوتر، والثمان صلاة التهجد.

وورد في حديث عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم أن النبي ﷺ كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، قلت: هو حديث مُجْمَلٌ، بيانه في أحاديث أخرى، منها ما أخرجه الشيخان عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، منها الوتر، وركعتا الفجر. فبين قاسم في هذا الحديث أن التهجد ثمان ركعات، والوتر، ثلاث، ثم ركعتا الفجر، ويشرحه ما أخرجه البخاري عن عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة، كانت تلك صلاته، يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه، ويركع ركعتين قبل الفجر، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة. وكانت ركعتا الفجر خفيفتين جداً، فقد أخرج الشيخان عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يخفف الركعتين اللتين قبل الصبح حتى إني لأقول: هل قرأ بأم الكتاب؟

قلت: وأَبينُ من ذلك ما أخرجه مسلم من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن ابن شهاب عن عروة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء، وهي التي يدعو الناس العتمة، إلى الفجر إحدى عشرة ركعة، يسلم بين كل ركعتين، ويوتر بواحدة، فإذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر وجاءه المؤذن قام فركع ركعتين خفيفتين، ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة.

فإن قيل: فما تقول فيما رواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأبي بكر بن أبي شيبة جميعاً عن هشيم - قال أبو بكر: حدثنا هشيم - أخبرنا أبو حرة، عن الحسن، عن سعد بن هشام، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل ليصلي افتتح صلاته بركعتين خفيفتين؟

قلت: هما من الثمان ركعات، فكانت ركعتاه الأوليان أخف من الركعات التالية. وإن قيل: ولكن أبا جعفر الطحاوي أخرج هذا الحديث في شرح معاني الآثار بما يتبادر إلى أن الركعتين غير الثمان ركعات. قال: حدثنا صالح بن عبد الرحمن، قال: ثنا سعيد بن منصور، قال: ثنا هشيم، قال: أنا أبو حرة، قال: ثنا الحسن، عن سعد بن هشام، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺإذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين، ثم صلى ثمان ركعات، ثم أوتر.

قلت: قوله: «ثم صلى ثمان ركعات، ثم أوتر» زيادة معللة شاذة، خالف سعيد بن منصور فيها أبو بكر بن أبي شيبة (صحيح مسلم) وهو أجل وأحفظ من سعيد، وخالفه أيضاً أحمد بن حنبل (مسنده) وهو من هو في إمامته وضبطه وإتقانه، وأبو الربيع (سنن البيهقي)، ويحيى بن يحيى (سنن البيهقي) وغيرهم.

ويجوز حديث سعيد أن يؤول إلى معنى يوافق حديث الصحيحين، وهو أحد الاحتمالين الذين ذكرهما أبو جعفر، إذ قال بعد إخراجه: فكان معنى «ثم يوتر» يحتمل ثم يوتر بثلاث، منهن ركعتان من الثمان، وركعة بعدها، فيكون جميع ما صلى إحدى عشرة ركعة.

(٢٠٦) الرائع في أصول الشرائع ص ٤٣.

الباب الثامن

قصر الصلاة

﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ سورة الأعلى الآية ١٥: وجعل أساس الدين الصلاة، وأساس الصلاة ذكر اسمه، كما قال: ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾، أيضاً: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ سورة المزمل الآية ٨. أي تبتل إليه، أي صَلِّ له كما يعلم من نسق الآية، والاسم واسطة لذكر الشيء، فذكر اسم الله ذكر لله، وهو أساس الصلاة، فأبقى ذكر الله حين تعذرت الصلاة بصورتها الكاملة، وأمر به حين أمكنت تنبيهاً على أنه هو الأصل(٢٠٧).

صلاة السفر:

قصر الصلاة في السفر: عن ابن جرير في تفسيره: حدثني أبو عاصم عمران بن محمد الأنصاري، قال: حدثنا عبد الكبير بن عبد المجيد، قال: حدثني عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، قال: سمعت أبي يقول: سمعت عائشة تقول: في السفر أَتِـمُّوا صلاتكم، فقالوا: إن رسول الله ﷺ كان يصلي في السفر ركعتين، فقالت: إن رسول الله ﷺ كان في خوف وكان يخاف، هل تخافون أنتم؟ ...حدثنا سعيد بن يحيى، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء: أي أصحاب رسول الله ﷺ كان يتم الصلاة في السفر؟ قال: عائشة وسعد بن أبي وقاص.

قال الذهبي: يعلم مما بلغنا من هذه الرواية أمور نذكرها الآن:

١- علمنا أن أصحاب النبي اختلفوا في القصر.

٢ - وأن هذا كان معلوماً للناس، فقد علم عطاء اثنين فذكرهما، أو ذكر منهم من كان ذا مكانة.

٣- وأنه كان عملَ الأكثرين على القصر، فاختلافُ بعضهم عن الجمهور لا يكون إلا

---

(٢٠٧) تعليقات ٢/ ٣٩٣-٣٩٤.

على يقين.

٤- وأن دليل الجمهور كان عمل النبي ﷺ، فلم يلتفتوا إلى رأي من استنبط برأيه، فإن العامة يخافون منه لتقواهم، وليس كل مؤمن مستنبطاً في كل مسألة، والرأي لا يكون حجة إلا لمن فهمه أو قلد فيه أحداً.

وأنه كان دليل عائشة رضي الله عنها من القرآن ظاهره، وأنها رضي الله عنها أجابت عما استمسكوا به من عمل النبي ﷺ، فالقاصرون أخذوا بظاهر السنة، والمتمون أخذوا بظاهر القرآن وصريحه، وبينوا وجه النبي ﷺ.

أما جواب القاصرين عن ظاهر القرآن فبما روي عن عمر رضي الله عنه من أنه سأل النبي ﷺ عن القصر عند الأمن فأجابه: «بأنها صدقة فاقبلوها»(٢٠٨)، ولا تكون الصدقة في الأمن إلا بأن يؤول القرآن عن ظاهره، والنبي ﷺ أعلم بتأويل القرآن، فرأيهُ أَحقُّ بالأخذ من رأي غيره.

ولكن ههنا أمر جدير بالنظر، وهو أن الذين أتموا الصلاة من الصحابة لا يُتَّهمونَ بمخالفة تأويل النبي ﷺ بعد العلم به، فالأمر البين أنهم علموا أن جواب النبي ﷺ لا يكون إلا حسب السؤال، فإذا قال النبي ﷺ: اقبلوا الصدقة من الله، فالسؤال كان عمن يُتِمُّ مع مظنة الخوف، وهو ليس بخائف، فتبين أن قوله تعالى ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ يحمل على موقع الخوف لا على حالة المصلي، فإن الله تعالى رخص لهم لا على سبيل الانفراد، وهذا إذا اعتمدنا على ألفاظ الرواية، وإلا ذكر الصدقة يناسب أن يكون السؤال عن الرخصة لقوله تعالى ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ سورة النساء الآية ١٠١ (٢٠٩).

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ سورة النساء الآية ١٠١: الصلاة أول الأعمال، والهجرة والقتال وجبت للحفاظ على الأوامر، وَيَّسرَ الله للمستضعفين، وكذلك يسر في الأمر الواجب، ونبه على تأكيده.

---

(٢٠٨) صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها، ولفظه: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته.

(٢٠٩) الرائع في أصول الشرائع ص ٥٧-٥٩.

قصر من الشيء: نقص شيئاً منه، عدد الركعات مما بينته السنة المتواترة، فكل ما جاءت به السنة أخذنا به.

والقصر يشمل قصر الركعات وقصر باقي الأركان(٢١٠).

---

(٢١٠) تعليقات ١/ ١٣٣، يقول الجامع: الأصل في الصلوات المكتوبات إقامتهن في بيت من بيوت الله تعالى في جماعة مع شروطهن وأركانهن وسننهن وآدابهن، وإقامة الصلوات رأس مطالب هذا الدين وعمدتها، يحرم تفويتها أو التهاون بها أو التفريط في المحافظة عليها.

وقصر الصلاة نقص في إقامتها وإخلال بالمحافظة عليها وعيب في أوصافها، ولا يجوز القصر إلا لأعذار توجبه أو تبيحه، وللقصر أربعة وجوه.

الأول: قصر ركعات الصلاة، وهو أن تصلي الظهر والعصر والعشاء ركعتين ركعتين، ولا قصر في الفجر والمغرب.

والثاني: قصر أوقاتها، وهو أن يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، وقد يجمع بين العصر والمغرب، وبين أكثر من صلاتين.

والثالث: قصر فرائضها، وهو تفويت القيام والركوع والسجود واتجاه القبلة والقنوت.

والرابع: قصر سننها وآدابها، وهو ترك الجماعات في المساجد.

والأعذار التي توجب القصر أو تبيحه أربعة:

الأول: الخوف على النفس والمال والعرض، وذلك عند اشتعال نار القتال ونشوب الفتنة واضطراب الأمن والسلام، وتتحقق فيه كل وجوه القصر أو جُلّها، فتقصر فيه الركعات من أربع إلى ثنتين في الظهر والعصر والعشاء، وهو معنى حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيح: «فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزِيدَ في صلاة الحضر»؟ لأن النبي ﷺ كان يصلي في مكة ركعتين ركعتين صلاة الخائف، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: «إن صلاة الخوف ركعة» (المغني ٢/ ٤٠١، وبدائع الصنائع ١/ ٢٤٣)، ونيل الأوطار ٤/ ٤)، وأخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة»، وبه قال أبو هريرة وأبو موسى الأشعري وغير واحد من التابعين، وهو مذهب سفيان الثوري وإسحاق بن راهويه ومن تبعهما. (سبل السلام للصنعاني)، وفي المغني: وهو مذهب ابن عباس، وجابر قال: إنما القصر ركعة عند القتال، وقال طاوس ومجاهد والحسن وقتادة والحكم كذا، يقولون: ركعة في شدة الخوف يومئ إيماء، وقال إسحاق: يجزئك عند الشدة ركعة تومئ إيماء، فإن لم يقدر فسجدة واحدة، فإن لم يقدر فتكبيرة لأنها ذكر لله تعالى، وعن الضحاك، أنه قال: ركعة فإن لم يقدر كَبَّر تكبيرة حيث كان وجهه.

وتُقصَرُ في الخوف أوقات الصلاة، فيجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، وإذا اشتد الخوف واضطر الناس إلى الجمع بين غيرهما أو بين أكثر من صلاتين جاز، أخرج مسلم=

= عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش، وقال: يا رسول الله! ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب. فقال النبي ﷺ: والله ما صليتها. قال: فقمنا إلى بطحان، فتوضأ للصلاة، وتوضأنا لها، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب. قلت: فهذا جمع بين العصر والمغرب.

ولما اشتدت الحال في الخندق وتفاقم الأمر جمع بين أكثر من صلاتين، أخرج الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: إن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب من الليل ما شاء الله، فأمر بلالاً فأذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ثم أقام فصلى المغرب ثم أقام فصلى العشاء.

وقد يجوز في الخوف قصر الفرائض، فيصح المشي على الأقدام في صلاة الخوف، وركوب المطايا وسائر ما في معناها، ويجوز في الخوف أن يصلي الناس وحداناً، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾(سورة البقرة ٢٣٩)، وقال ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: «فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالاً وركباناً مستقبلي القبلة وغير مستقبليها» (الموطأ والصحيحان).

والثاني: السفر، ويجب فيه أو يباح قصر الرباعيات إلى الثنائيات، أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: خرجنا مع النبي ﷺ من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة، وأخرج الشيخان أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: صحبت رسول الله ﷺ فكان لا يزيد في السفر على ركعتين، وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك، رضي الله عنهم.

ويجوز في السفر الجمع، أخرج الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يجمع بين المغرب والعشاء إذا جَدَّ به السير. وأخرج مسلم عن سعيد بن جبير، قال: حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ جمع بين الصلاة في سفرة سافرها في غزوة تبوك، فجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء.

ويجوز في صلاة السفر ترك القيام إذا كان في سفينة أو مركب لا يثبت عليه المصلي ثباتا، أخرج الحاكم والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سئل النبي ﷺ عن الصلاة في السفينة؟ فقال: صَلِّ فيها قائماً إلا أن تخاف الغرق، ونقل على ذلك الإجماع النووي، وابن الملقن، والصنعاني، والشوكاني.

والثالث: المرض: ولا يجوز فيه قصر الركعات، ولكن يجوز فيه قصر الفرائض، فيصلي المريض قاعداً إن لم يستطع القيام، ومستلقياً إن لم يستطع القعود، ويؤمئ للركوع والسجود إيماءا، أخرج البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة، فقال: صل قائما، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب. وفي صحيح البخاري: لما ثقل رسول الله ﷺ كان يصلي قاعداً. =

الباب التاسع

إقامة الصلاة

معنى إقامة الصلاة[٢١١]:

﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: أقام الشيء: جعله قائماً، مثلاً

= ويجوز للمريض الجمع أيضاً، وفي السنن أن النبي ﷺ رخص للمستحاضة أن تجمع بين الصلاتين، والجمع للمريض مذهب جماعة من العلماء.

والرابع: الشغل المثقل، يجوز فيه قصر الأوقات، فيجمع بين صلاتين أو أكثر، فمثلاً إذا مارس الطبيب عملية جراحية تستغرق وقتاً طويلاً جاز له الجمع بين الصلاتين أو أكثر حسب ما دعت الحاجة إليه، واختار الإمام ابن تيمية جواز الجمع للطباخ، والخباز ونحوهما، ممن يخشى فساد ماله ومال غيره بترك الجمع. (انظر: كتاب الصلاة من الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف).

(٢١١) قال الشاه ولي الله الدهلوي: «وأصل الصلاة ثلاثة أشياء: أن يخضع القلب عند ملاحظة جلال الله وعظمته، ويعبر اللسان عن تلك العظمة، وذلك الخضوع أفصح عبارة، وأن يؤدب الجوارح حسب ذلك الخضوع، قال القائل:

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المُحَجَّبا

«ومن الأفعال التعظيمية أن يقوم بين يديه مناجيا، ويقبل عليه مواجها، وأشد من ذلك أن يستشعر ذله وعزة ربه، فينكس رأسه إذ من الأمر المجبول في قاطبة البشر والبهائم أن رفع العنق آية التيه والتكبر، وتنكيسه آية الخضوع والاخبات، وهو قوله تعالى: ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾.

«وأشد من ذلك أن يعفر وجهه الذي هو أشرف أعضائه ومجمع حواسه بين يديه، فتلك التعظيمات الثلاثة الفعلية شائعة في طوائف البشر لا يزالون يفعلونها في صلواتهم وعند ملوكهم وأمرائهم، وأحسن الصلاة ما كان جامعا بين الأوضاع الثلاثة مترقياً من الأدنى إلى الأعلى؛ ليحصل الترقي في استشعار الخضوع والتذلل، وفي الترقي من الفائدة ما ليس في أفراد التعظيم الأقصى، ولا في الانحطاط من الأعلى إلى الأدنى.»

«وإنما جُعلت الصلاة أم الأعمال المقربة دون الفكر في عظمة الله، ودون الذكر الدائم؛ لأن الفكر الصحيح فيها لا يتأتى إلا من قوم عالية نفوسهم، وقليلٌ ما هم، وسوى أولئك لو خاضوا فيه تبلدوا، وأبطلوا رأس مالهم فضلاً عن فائدة أخرى، والذكر بدون أن يشرحه ويعضده عمل تعظيمي يعمله بجوارحه، ويعنوا في آدابها. لقلقة خالية عن الفائدة في حق الاكثرين.» (حجة الله البالغة ١/ ١٣٧-١٣٨).

أقام العمود، ومنه إقامة الحدود والسوق إقامة معنوية، وأيضاً جعل الشيء مستقيما لا اعوجاج فيه، وهذا كثير، وأيضاً سكن ولبث، كما تقول: أقام ببلدة، ومنه بمعنى دام وبقي، كما في قوله تعالى ﴿ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ سورة التوبة الآية ٢١ (٢١٢).

بين «صلى» و«أقام الصلاة» فرقٌ لطيف، لما في الإقامة دلالة على التسوية، فأشار إلى ما يلزم مراعاته في الصلاة، وذلك أمور:

الأول: هو الإخلاص، فتكون الصلاة متوجهة إلى الرب تعالى وحده، فذلك أول تسويتها، كما قال تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ سورة الأعراف الآية ٢٩، أيضاً ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ سورة الروم الآية ٣٠، ومن ههنا التوجه إلى مركز التوحيد والدين، وقال تعالى فيما أمر بني إسرائيل ﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ سورة يونس الآية ٨٧.

والثاني: دوام التوجه إلى غايتها، وهي الذكر والخشوع، فالالتفات إلى خلاف غايتها تعويجها، كما قال تعالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ سورة طه الآية ١٤، وأيضاً ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ سورة المؤمنون الآيات ١-٣.

والثالث: أداؤها حسبما علمنا الله من غير تقصير، وإنما رخص في القصر عند الضرورة، ولذلك قال تعالى ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم ﴾ سورة البقرة الآية ٢٣٩، وأيضاً ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ سورة النساء الآيتان ١٠١-١٠٢، ومن ذلك تسوية الصفوف والتعديل، كما جاء في الحديث «تسوية

---

(٢١٢) تفسير نظام القرآن (سورة البقرة) ص ٦٤-٦٥.

الصفوف من إقامة الصلاة»[٢١٣].

والرابع: أداؤها لأوقاتها، كما قال تعالى ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ سورة الإسراء الآية ٧٨، وهو المراد بالمحافظة، كما قال تعالى ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾سور البقرة الآية ٢٣٨، أيضاً ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ سورة الأنعام الآية ٩٢.

والخامس: الدوام عليها، كما قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾سورة المعارج الآية ٢٣.

والسادس: إقامة الجماعة والجمعة، وذلك إذا أضيفت إلى الأمة أو الإمام، كما قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ ﴾ سورة الحج الآية ٤١، وقال تعالى حكاية عن دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ سورة إبراهيم الآية ٣٧، وله نظائر كثيرة.

وبالجملة ﴿ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾يدل على وجوه كثيرة حسنة، وهذا تأويل الإقامة متفق عليه عند السلف رحمهم الله، فالقول بأن المراد بالإقامة نفس الأداء، وإنما عبر عنه بالإقامة لاشتمالها على القيام، كما عبر عنها يالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والذكر، فضعيف جداً، فإن في هذه الكلمات دلالة على أمر مهم في الصلاة، ولم يعبر عن الصلاة بمحض القيام والقعود، بل عبر عنها بالتسبيح والركوع وغيرهما مما يدل على تضرع وإنابة وذكر، وأيضاً محض اسم الصلاة جاء في وصف غير المؤمنين، وإقامة الصلاة لم تجئ إلا في مواقع التحسين، فلا بد أن فيها دلالة زائدة مناسبة بالمدح[٢١٤].

الإخلاص:

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾سورة الماعون الآية ٦: يتعلق بالصلاة والصدقة كلتيهما، فإن الرياء يخالط الإنفاق كمخالطته الصلاة وذلك بين معلوم، وقد ضرب الله

---

(٢١٣) أخرجه البخاري في الأذان، باب إقامة الصف من تمام الصلاة.

(٢١٤) تفسير نظام القرآن (سورة البقرة) ص ٩٢-٩٤.

مثلين للرياء في الإنفاق كما ضرب مثلين للإخلاص فيه حيث ذكر أربعة أمثال (سورة البقرة ٢٦١-٢٦٦) كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً، ومثل جنةٍ من نخيل وأعناب فأصابها إعصار فيه نار، وكذلك كمثل جنة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، وكمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أُكلَها ضعفين، وأما الرياء في الصلاة فجاء في ذكر المنافقين ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ سورة النساء الآية ١٤٢ (٢١٥).

القنوت

الآية ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ سورة البقرة الآية ٢٣٨ تدل على أن أركان الصلاة والقنوت والتخشع من محافظة الصلاة، وهكذا آيات من أول سورة «المؤمنون»، وإذا كان هذا معنى المحافظة فضده يكون معنى الإضاعة، فقوله تعالى ﴿ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ معناه لم يحافظوا على الصلاة، فهدموا من أركانها أو لم يصلوها أصلاً (٢١٦).

الخشوع:

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ سورة البقرة الآية ٤٥: لم يقل إنهما لكبيرتان، وذلك لوجوه:

الأول أن كون الصبر شاقاً كان ظاهراً، فتركه، كما ترى ذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فترك إن الله مع المصلين، فإن ذلك

---

(٢١٥) تعليقات ٢/ ٤٩٧-٤٩٨.

(٢١٦) أخرج البخاري في الأذان، باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة، ومسلم في الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد النبي ﷺ عليه السلام فقال: ارجع فصل فإنك لم تصل فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاثاً فقال والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره فعلمني قال: إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها.

ظاهر، لما أن الصلاة هي الحضور بين يدي الرب، فهي عين المعية.

والوجه الثاني أن الصبر من شرائط الصلاة، فلا يقيم على الصلاة إلا الصابرون كما مر، فكأن الحكاية عن كون الصلاة شاقة تنبيه على جهة المشقة فيها، وهي كونها متضمنة للصبر، فأغنت عن صريح الحكاية عن الصبر بكونه شاقاً.

والوجه الثالث أن شدة الصبر ظاهرة، والأمر بما هو شديد فيه نوع من التنفير، فتركه، وأخذهم بما هو أهون بحسب الظاهر.

قوله تعالى ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ هذا ذكر ما بني عليه الصلاة والصبر وما يستلزمها، وذلك لا يخفى على من تدبر في هذه الأمور، ثم قد نبهنا القرآن عليها، أما بناء الصلاة على الخشوع للرب تعالى فبينه في غير ما آية، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ سورة المؤمنون ١-٢، وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ سورة الأنبياء الآية ٩٠.

وكون الخشوع من أكبر أصول الصلاة ظاهر جداً، وأما بناء الصلاة على الإيمان بلقاء الرب تعالى فقد نبه عليه أيضاً في غير ما آية، قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ سورة القيامة الآية ٣١-٣٢، وقال تعالى في أول ما خاطب به موسى عليه السلام ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ سورة طه ١٤-١٦.

تأمل في عجيب نظم هذه الآيات، وكون الإيمان بلقاء الرب أصلاً عظيماً في الصلاة مبسوط في مواضعه(٢١٧).

ثم بعلم ما يوافقها (أي الشرائع) ويضادها نستدل على وجودها وعدمها، كما نستدل بالحرارة والبرودة على وجود النار وعدمها، فمن لم يخشع لم يحقق الصلاة، كما قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ الشمس ٩، وكذلك ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ العنكبوت ٤٥ (٢١٨).

---

(٢١٧) تفسير نظام القرآن (سورة البقرة) ص ٢٣٣-٢٣٥.

(٢١٨) الرائع في أصول الشرائع ص ٦.

﴿ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ ﴾ سورة آل عمران الآية ٣٩: انظر كيف كان صلاته مناجاة وكلاماً ومحاورة، وكان نبينا يأمر بقول ما يناسب المحل جواباً، فعلمنا أن صلاتنا اليوم جامدة يابسة ليست كصلاة الأنبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنه، اذكر صلاة رجل آثم تاب وصلى فقام في المسجد وحك صدره وقال: اللهم ارحمني أنا المذنب. (لوقا)[٢١٩].

وبين الله تعالى أن الصلاة تشق إلا على المؤمنين حقا حيث قال: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ سورة البقرة الآيتان ٤٥-٤٦ [٢٢٠].

---

(٢١٩) تعليقات ١/ ٩٦-٩٧.

(٢٢٠) تفسير نظام القرآن (سورة القيامة) ص ٢٤٢.

قال الإمام الغزالي: «بيان المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة: إعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب، والتفهم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء، والحياء. فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها:

«أما التفاصيل فالأول حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به، فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بهما، ولا يكون الفكر جائلاً في غيرهما، ومهما انصرف في الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب.»

«ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم، وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات، وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله، ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فإنها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة.»

«وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم، إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما.»

«وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم، لأن من لا يخاف لا يسمى هائباً، والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة، بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة، والهيبة خوف مصدرها الإجلال.»

«وأما الرجاء فلا شك أنه زائد فكم من مُعظِّم ملكاً من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته، والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاتهٓ ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره=

الذكر:

الصلاة: ذِكْرٌ لعهدنا بعبوديته الخالصة. والذكر هو الذي يجعل المعتقد به راسخاً في النفس حتى تتكيف به. أصل الخلقة تَعَبُّدٌ للخالق. فترك العبادة تناقض في الوجود. ولذلك كل خلق يعبد الرب. والصلاة مخ العبادة، فلزم جميع الخلق لزوم التوحيد والتعبد. وقد يعبر عن الصلاة بالتسبيح. كل خلق له صلاة، كما قال تعالى: ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾. وقال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾، ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴾[٢٢١].

خلقة الإنسان للصلاة والشكر وذكر المعاد والتقوى[٢٢٢].

الذكر: كل ما يذكرك شيئاً فهو الذكر، فربما يكون بمعنى التاريخ، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾. فجاءت هذه الآية بعد صحف التاريخ من صحف اليهود.

قوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾. أي الذين عندهم تاريخ الأمم، وهم اليهود، والمراد كُتُبهم[٢٢٣].

المحافظة على الصلاة:

﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ الآية ٢٣٨: بدأ بالصلاة وختم بها، وكذلك في غير موضع، فالصلاة كواسطة العقد وأول ما كتب[٢٢٤].

= عقاب الله عز وجل.»

«وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب، ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب.» (إحياء علوم الدين ١/ ٢٢٨-٢٢٩).

(٢٢١) مفردات القرآن ص ٢١٢.

(٢٢٢) تعليقات ٢/ ٤٧٢.

(٢٢٣) مفردات القرآن مادة الذكر.

(٢٢٤) تعليقات ١/ ٧٢.

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ سورة الأنعام الآية ٩٢.

أما المحافظة على الصلاة فهي دليل على وجود الخشية، وهي دليل على الإيمان بالآخرة، كما قال: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ سورة البقرة الآيتان ٤٥-٤٦ (٢٢٥).

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ سورة مريم الآية ٥٩: وقد وضعت هذه الآية بعد ذكر الذين أنعم الله عليهم من النبيين وأتباعهم، فلم يَخْفَ علينا أن تركَ الصلاة هو الخروج عن الذين أنعم الله عليهم، وهم حزب الله(٢٢٦).

الدوام على الصلاة:

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ سورة المعارج الآية ٢٣: فلا يتركونها، قد عَدَّ الله تعالى صفات المؤمنين وبدأ بالصلاة وختم بها، وكذلك جعل في أول سورة المؤمنون، وفي سورة بني إسرائيل كذلك بدأ وختم بالتوحيد، وبذلك صارت الصلاة كحلقة مفرغة يبدأ منها ولا يخرج عنها جميع الأعمال الصالحة، وهذا يظهر بتأمل ما، والقرآن أشار في مواضع إلى نسبة الأعمال بعضها ببعض.

الدوام على الصلاة لدوام ذكره فلا ينسون ربهم، ثم محافظتهم على الصلاة لقيامهم بشهاداتهم، وقد شهدوا بالعبودية حين قالوا «بلى»، وينفقون أموالهم تقرباً إلى الله، ولذكرهم أنفسهم ببركة ذكرهم الله، فلا يغفلون عن يوم الدين، ومنه إشفاقهم،

---

(٢٢٥) تعليقات ١/ ١٩٢.

(٢٢٦) تعليقات ١/ ٣٩٥-٣٩٦، أخرج الدارمي في الرقائق، باب في المحافظة على الصلاة عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة من النار يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا نجاة ولا برهانا وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيّ بن خلف.

وأخرج مالك في الموطأ، وقوت الصلاة، باب وقوت الصلاة عن نافع مولى عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله إن أَهَمَّ أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سِواها أَضيعُ.

ومن الإشفاق محافظتهم عفتهم، وحق الزوجة من الأمانة والعهد، وباقي العهود تحفظ، والصلاة من العهود.[٢٢٧].

---

(٢٢٧) تعليقات ٢/ ٣٨٥-٣٨٦.

الباب العاشر

آثار الصلاة

كيف يتفرع الخصال الحسنة من الصلاة والكرم، بل الكرم نفسه يتفرع من الصلاة، إذا كملت فهي الأصل، وهي أول مظهر للإيمان.[٢٢٨]

﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ سورة الروم الآية ٣١: منيبين، فيهديكم، أقيموا وجوهكم للدين حنفاء منيبين إليه، واتقوه من أن يُضِلَّكم.

الصلاة هي تحقيق الإنابة.

من التوحيد تنشأ التقوى، ومنهما الإنابة، وهي حقيقة الصلاة، ومن بسط الرزق تنشأ الغفلة عن الرازق القادر، وإذا هم يشركون فيمتعون، فبه يزدادون فسادا في جمع المال وأسباب الشهوات[٢٢٩].

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ سورة لقمان الآية ٤: شكراً لنعمه واعترافاً بحق ربهم وفقر أنفسهم وطلباً لعونه[٢٣٠].

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ سورة لقمان الآية ١٧: بيان سبيل من أناب إلى الله، ودل بذلك على أمرين، الأول أن الأمر بالمعروف تابع لإقامة الصلاة، والثاني أن الزكاة داخلة فيهما، فهي لازمة للصلاة وفاتحة للمعروف[٢٣١].

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ سورة لقمان الآية ١٧: أي الجماعة، وكن داعياً وإماماً[٢٣٢].

الصلاة صورة الشكر وطريق أدائه، فمن شكر صلى، ومن شكر ذكر، ومن ذكر صلى، وقال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ سورة البقرة الآية

---

(٢٢٨) حكمة القرآن ص ٣٦.

(٢٢٩) تعليقات ٢/ ٦٩.

(٢٣٠) تعليقات ٢/ ٧٤.

(٢٣١) تعليقات ٢/ ٧٧-٧٨.

(٢٣٢) تعليقات ٢/ ٧٨.

١٥٢، قال تعالى ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ سورة الأعلى الآية ١٥ (٢٣٣).

﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ سورة الفتح الآية ٢٩: قوله تعالى ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ ﴾

بيان جانب اللينة، فكونهم رحماء بينهم لأجل خشوعهم لربهم وابتغاء رضوانه، ثم ابتغاء الفضل والرضوان بيان حالتهم في الصلاة، وقدم الأول على الثاني لأنهم يبتغون الفضل ليبذلوه في رضوان الرب تعالى كما قدم الشدة على الرحمة فيما سبق، وإنما قلنا إن ذلك بيان صلاتهم لأن في الكلام دلالة عليه، وهي وقوعه حالاً للركّع والسُّجَّد وكونه متبوعاً بذكر صلاتهم، وهو قوله تعالى ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ فالرحمة هي أصل الخصال، وثمرتها الرضوان، والشدة على الكفار وجهادهم لأجل إقامة الصلاة وابتغاء الدنيا لأجل اقتناء الآخرة بها، وكل ذلك بيّنٌ ظاهر(٢٣٤).

اعلم أن الصفات التي ذكرها في هذه الآية ليست بصفات شتى، بل هي تصير هيئة واحدة، وهي هيئة المصلين ظاهرة وباطنة، ألا ترى قوله تعالى ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾، وهذان غاية في الظهور.

وأما قوله تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ فهذا بيان ما يكون شغل المصلين في خلال صلواتهم فإنهم لا يزالون مشمرين في العمل ساعين لمعالي الأمور إما لإزالة الفساد وإما لإقامة الصلاح فجمعوا الشدة واللين، فبالشدة يدفعون المانعين عن الصلاة، فإن ذلك هو أصل الجهاد كما قال تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ ﴾ سورة الحج الآية ٤٠، كما هو مبسوط في موضعه، وباللين يصلحون ذاتَ بينِهم، فنزع عنهم الغل والخيلاء، فهذان بيان معظَم اشتغالهم الذي يملأ ما بين صلاةٍ وصلاة.

---

(٢٣٣) تعليقات ٢/ ٧٨.

(٢٣٤) تعليقات ٢/ ٢٦٨.

وأما قوله تعالى ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ فبيان ما يكون شغلهم في الصلاة وبعدها، فإنهم يدعون فيها رغباً ورهباً، ثم إذا قضيت الصلاة ابتغوا فضله وابتغوا به رضوانه كما جاء في سورة الجمعة، وبعبارة أخرى إنهم في خلقهم جمعوا الشدة واللين، وفي عملهم جمعوا السعي للمعاش والمعاد، وكل ذلك لابتغاء رضوانهم.

وبالجملة فليس ذكر هذه الصفات إلا تصوير المصلين وشعارهم وسيماهم، وتمام حسن هذه الصورة يرى حين يجتمعون في المساجد، فقوله تعالى: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ ليس أنك تراهم مشتتين في أمكنة متباعدة وأوقات مختلفة، فإن وحدة الخطاب في ﴿ تَرَىٰهُمْ ﴾ وإيراد صيغة الجمع في ﴿ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ وجمعهما بغير واو العطف كل ذلم يستدعي أنك أيها المخاطب! تراهم مجتمعين ركعاً سجداً، وبعد ما تبينت هذا القدر من التأويل لم يبعد عنك أن الجماعة لم تك من دون إمامها، فعنوان هذه الآية وهو قوله تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ يلوح كالطغراء فوق هذا التصوير، وبه كمل حسن هذه الجماعة، فهو كالقمر المنير بين كواكبه، وكالملك الكبير وسط مواكبه(٢٣٥).

ثم أرى أن كثرة الصلاة وتهذيبها حتى تكون هي السيماء والخلق الغالب هي رأس المال لمن أراد الحكمة والهداية إلى طريق الفطرة المستقيمة، وهي قرة عين النبيين والصديقين(٢٣٦).

الصلاة هي تحقيق التزكية وهي كمال النفس وسعادته.(٢٣٧).

الصلاة حقيقتها الذكر، والشكر والإنابة والتوجه إلى الرب(٢٣٨).

---

(٢٣٥) تعليقات ٢/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٢٣٦) تعليقات ٢/ ٤٤٤.

(٢٣٧) تعليقات ٢/ ٢٩٤.

(٢٣٨) تعليقات ٢/ ٧٤.

وأختمه بمقال لي عن صفة صلاة رسول الله ﷺ:

قالوا: صِفْ لنا صلاة رسول الله ﷺ وصفا يقربها إلينا تقريباً غير مُورِّثٍ لنا إشكالاً ولا تعقيداً، قلت: ما أبطأكم في دينكم؟ وما أشد تهاونكم في شأنه؟ أليست الصلاة هي أول فريضة يتلقنها المسلم فقهاً وتطبيقاً، ويتبصر فيها ويقومها تقويماً، فهي عمود دينه، والصلة بينه وبين ربه، وبها يزدلف إليه ويناجيه؟ قالوا: بلى، ولكن أذهلنا اختلاف الفقهاء في هيئتها وأفزعنا، قلت: أي=

= اختلاف تعنون؟ قالوا: تباين آرائهم: هل يرفع المصلي يديه محاذيا بهما منكبيه أو أذنيه؟ أفيرفعهما عند تكبيرة الإحرام ثم لا يعود، أم يرفعهما عند كل خفض ورفع؟ أيضع يديه على صدره أم تحت سرته أو يرسلهما إرسالاً؟ وهل يفتتح صلاته بالحمد لله رب العالمين؟ أو يفتتح ببعض الأدعية؟ وكيف يركع ويسجد؟ وكيف يجلس بين السجدتين؟ وهل يتشهد بما رواه ابن مسعود؟ أو بما رواه ابن عباس؟ أو بما رواه أهل المدينة؟ وهل يوتر بركعة؟ أو بثلاث ركعات؟ بتسليمة أو بتسليمتين؟

قلت: لقد زللتم وأسأتم إذ حصرتم الصلاة في مسائلها الجزئية، وحبستموها في القضايا الفرعية، فما أوردتم لا يعدو تحسيناً للصلاة وتحلية، كاللمسة الأخيرة في نحت تمثال أو رسم صورة. قالوا: نتطلع إلى أن تجلو لنا ما غم علينا جلاءاً. قلت: أضرب لكم مثالاً، قالوا: هاته إن أسعفنا في التفقه لما نحن فيه.

قلت: أرأيتم إن خُيِّرتم بين فتاة حسناء فاتنة ذات طلعة بهية وجمال، وصاحبة مداعبات وبسمات، بديعة الخلق وطيبة الخلق، وبين عجوز قبيحة كريهة دميمة شوهاء ميتة، جاءتها ماشطة فأولتها عنايتها تجميلاً وتزييناً، فبأيتهما تكلفون وفي أيتهما تتنافسون؟ قالوا: في الأولى، قلت: أو لم تجملها الماشطة نفسها تجميلاً؟ قالوا: بلى، ولكن الأولى تختلف عن الثانية في أمرين، فالأولى حية، والثانية ميتة لا روح فيها، والأولى جسمها غض طري ناعم، والثانية عجوز سمجة شوهاء. قلت: فأين يقع تجميل الماشطة منكم؟ قالوا: إنه آخر شيء يخطر ببالنا ويدور بخلدنا.

قلت: كذلك الصلاة، لها جسد، وروح، وزينة، وصف القرآن الكريم جسدها وروحها، وجاءت السنة فنعتت زينتها، كما أن القرآن الكريم وصف لنا الوضوء جسداً وروحاً، وعلمناه النبي ﷺ زينة وكمالا.

قالوا: فما جسدها؟

قلت: الصلاة في ظاهرها أن يولي المسلم الطاهر وجهه شطر المسجد الحرام، ويقوم ويقرأ شيئاً من كتاب الله تعالى يرتله ترتيلا، ويركع ويسجد، وأن يحافظ عليها في أوقاتها وفي بيت من بيوت الله مع عباده الصالحين.

قالوا: فما روحها؟ قلت: القنوت، والخشوع، وذكر الله عز وجل، وأداؤها ابتغاء وجهه ومرضاته، وعقلها، قال تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾، ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، و ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾. قالوا: وماذا رمت بعقلها؟ قلت: قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ و ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾.

وروينا عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال: «إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها» وروي مثله عن بعض من تأخر عنهم من السلف، ورفعه بعضهم، ولا يصح. =

= قالوا: فما كمالها وحسنها؟

قلت: حكاه أصحاب النبي ﷺ واختلفوا، واختلف من بعدهم، ولو كان هذا الذي اختلفوا فيه من قواعد الصلاة وأصولها لاتهموا على عدم ضبط أهم فريضة عن نبيهم ﷺ، ولكنهم ضبطوا عنه ظاهر الصلاة وباطنها ضبطا تاما، وهي الصلاة التي يعتمد عليها فلاح عباد الله المؤمنين، وأما ما اختلفوا فيه فهو من الكمال والتحسين الذي لا تضر فيه الوجوه المختلفة والأشكال المتنوعة، وإنما تعد سعة ورحمة، كما أن المرأة إذا كانت حسناء لا يهمها كيف يُمشَطُ شعرها ويُجَملُ وجهها وسائر جسدها مادامت ماشطتها خبيرة بعملها، كذلك المصلي إذا ضبط ظاهر الصلاة وروحها، فلا جناح عليه أن يأخذ كمالها وزينتها من فقه أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد بن حنبل أو غيرهم من علماء الأمة الربانيين لسنن نبيهم ﷺ وآدابه.

قلت: وهذه الصلاة هي التي تَقَرُّ بها العيون وتتسلى النفوس، وتشفى الجوانح والصدور، وبها تَغنى القلوبُ ويرتاح المكروب، وهي مفزع الخائفين المتقين، ومقصد الأخلاء المشتاقين، ومأوى الأصفياء المحبين، ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾، ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾، ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾، وهي صلاة الأنبياء والمرسلين، وهي التي قال فيها أبو الأنبياء وخليل رب العالمين ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾، وهي التي صلاها زكريا فنادته الملائكة، وهي التي أمرت بها المرأة التي ضربها الله مثلاً للذين آمنوا: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾، وهي التي كان نبينا ﷺ يفزع إليها إذا حزبه أمر، وكان ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وهي التي قال عنها ربنا عز وجل: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾.

قالوا: صلينا مدى دهرنا وطيلة عمرنا صلاة غير هذه، ولم ننتبه إليها انتباها ولا آنسناها إيناساً، قلت: اذهبوا فصلوا فإنكم لم تصلوا.

ثبت المصادر

كتب الفراهي:

١- إمعان في أقسام القرآن، دار القلم، دمشق، ١٤١٥/ ١٩٩٤.

٢- تعليقات في تفسير القرآن الكريم، إعداد: د. عبيد الله الفراهي، ومراجعة: الشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائي مير، أعظمكراه، الهند، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (تفسير سورة البقرة)، الدائرة الحميدية، ١٤٢٠/ ٢٠٠٠م.

٤- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (تفسير سور أخرى)، الدائرة الحميدية، ٢٠٠٨م.

٥- حكمة القرآن، الدائر الحميدية، ٢٠٠٧م.

٦- الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، الدائرة الحميدية، ١٤١٤/ ١٩٩٤.

٧- رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى (دلائل النظام، وأساليب القرآن، والتكميل في أصول التأويل)، الدائرة الحميدية، ١٤١١/ ١٩٩١.

٨- رسائل في علوم القرآن، المجموعة الثانية (الرائع في أصول الشرائع، وإحكام الأصول بأحكام الرسول، والرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ) ، إعداد: د. عبيد الله الفراهي، ومراجعة: الشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الدائرة الحميدية، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٩- مفردات القرآن، تحقيق الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م.

١٠- مكاتيب فراهي، ترتيب: شرف الدين الإصلاحي، وحمد الله الفراهي، الدائرة الحميدية، ١٩٩٤.

كتب سائر المؤلفين:

١- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣/ ٢٠٠٢.

٢- الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة، للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي (ت ١٤٢١هـ)، دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٧ه.

٣- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، ١٤١٨/ ١٩٩٧.

٤- حجة الله البالغة، للإمام الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (١١١٤-١١٧٦)، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، للحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٦- سير أعلام النبلاء للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، أشرف على التحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة.

٧- كتاب الصلاة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١)، تحقيق عدنان البخاري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ١٤٣٧ه/ ٢٠١٦.

٨-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨)، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١/ ٢٠٠١م.

٩- مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٠- معاصرين، للأستاذ عبد الماجد الدريابادي، كلكته، ١٣٩٩/ ١٩٧٩م.

١١- نزهة الخواطر، للعلامة عبد الحي الحسني (ت ١٣٤١هـ)، دار عرفات، رائي بريلي، ١٤١٣/ ١٩٩٣م.

١٢ - ياد رفتكان، للعلامة السيد سليمان الندوي، مجلس نشريات إسلام، كراتشي.

فهرس المحتويات